



**رسائل وتعليقات**  
**كتبها عبد القاهر الجرجاني**



## «رسائل وتعليقات»<sup>(١)</sup>

(١) هذا العنوان وضعه الأستاذ محمود شاكر في صفحة مستقلة من تعليقه على «دلائل الإعجاز» بعد انتهاء أبواب الكتاب وفصوله، وقد ألحق هذه الرسائل والتعليقات بأصل الكتاب مستنداً في هذا إلى أنها متصلة الأواصر بدلائل الإعجاز، وهي موجودة في ذيل إحدى النسخ المخطوطة فنقلها بترتيبها - ومن الإجحاف إهمال هذه الرسائل وتلك التعليقات لاسيما وأن منها ما يضيف جديداً، ويعد تنمة لأفكار سبقت، ومنها ما يزيح غموضاً التبست به بعض الموضوعات السابقة، ويمكن التغاضي عما فيها من تكرار إذا نظرنا إلى ما فيها من فوائد جديدة مبثوثة في ثنايا كلامه، وعند قراءة هذه الرسائل نشعر أننا كنا في حاجة إلى كثير منها ولاسيما ما يميظ منها اللثام عن أفكار كانت منتقبة، مثل حديثه عن صور المعاني التي يتفاوت فيها الشعراء والتي ترد المزايإ إليها، وهي قصده من المعنى الذي طال دفاعه عنه، وفيها يستوقف مقولات النقاد قبله في السرقات ويستدرك عليها، ويضع مقياساً جديداً معتبراً في الحكم على سرقات الشعراء، ويقدم نماذج تطبيقية منها ما تداولته كتب النقد قبله كـ«الشعر والشعراء» لابن قتيبة، و«عيار الشعر» لابن طباطبا، و«الصناعتين» لأبي هلال، و«الموازنة» للآمدي، و«الوساطة» للقاضي الجرجاني، ومنها نماذج انفراد بها وأضافها عبد القاهر، وكان يتميز بتوظيف هذه القضية النقدية في خدمة قضية النظم، وأنه نظم معانٍ، فإن المعاني تختلف عليها صور الشعراء، فتحدث بها خصائص ومزايا لم تكن، وأنه إذا التقى شاعران في غرض واحد ثم كان لأحدهما فضيلة وميزة ليست عند الآخر، فإن ذلك ليس للفظ، ولكن للصورة التي حدثت في المعنى، وهنا يفصح عبد القاهر عن قصده بالمعنى الذي رد المزية إليه مراراً وتكراراً، فقد كان يقصد به صورة المعنى وخصوصية في نظمه وتشكيله وهي التي يظهر فيها براعة الشاعر، ولا ريب في أن بين المعنى وصورته ارتباطاً مما جعل الشيخ يعبر بالأول ويقصد الثاني، فإن طبيعة المعنى هي التي تستدعي كيفية التصوير.

## إزالة الشبهة في جعل الفصاحة والبلاغة للألفاظ

## بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم أنه لما كان العَلَطُ الذي دَخَلَ على الناس في حديث اللفظ كالداء الذي يسري في العروق، ويفسد مزاج البدن وجب أن يُتَوَخَّى دَائِبًا فيهم ما يتوخَّاه الطبيب في الناقه<sup>(١)</sup> من تعهده بما يزيد في مُنته، ويبقيه على صحته، ويؤمِّنُه النَّكْسَ في علته<sup>(٢)</sup>.

وقد علمنا أن أصل الفساد وسبب الآفة هو ذهابهم عن<sup>(٣)</sup> أن من شأن المعاني أن تختلف عليها الصور، وتحدث فيها خواص ومزايا من بعد أن لا تكون<sup>(٤)</sup>، وإنك ترى الشاعر قد عمد إلى معنى مبتذل، فصنع فيه ما يصنع الصانع الحاذق إذا هو أغرب في صنعة خاتم وعمَلِ شُنْفٍ وغيرهما من أصناف الحلي<sup>(٥)</sup>، وذلك أنهم لما جهلوا شأن الصورة وضعوا لأنفسهم أساسًا، وبنوا على قاعدة فقالوا: إنه ليس إلا المعنى واللفظ، ولا ثالث، وإنه إذا كان كذلك وجب إذا كان لأحد الكلاميين فضيلة لا تكون للآخر، ثم كان الغرض من أحدهما هو الغرض من صاحبه<sup>(٦)</sup>، أن يكون مرجع تلك الفضيلة إلى اللفظ خاصة، وأن لا يكون لها مرجع إلى المعنى، ولكن جعلوا كالمواضعة فيما بينهم أن يقولوا «اللفظ» وهم يريدون «الصورة» التي تحدث في المعنى، والخاصة التي حدثت فيه<sup>(٧)</sup>، ويعنون الذي عناه الجاحظ؛

(١) يقال: نقه فلان ينقه من باب نفع فهو ناقه أي: برئ من مرضه لكنه في عقبه.

(٢) النكس بضم النون وفتحها: العود للمرض بعد قرب الشفاء، والمنة بضم الميم: القوة.

(٣) ذهابهم عن كذا: انصرفهم عنه زهدًا فيه أو ذهولاً عنه.

(٤) وإنما تختلف الصورة لاختلاف طبائع الشعراء وتفاوت مشاربهم ومذاهبهم في الصياغة والتصوير حتى تحدث في المعنى الذي تواردوه خواص ومزايا لم تكن، مع تفاوت درجات الشعراء في ذلك.

(٥) أي أن الشاعر الماهر هو الذي يعتمد إلى معنى مألوف، فيخلع عليه من فنه وتصويره، فيكون مثله في ذلك مثل الصائغ الحاذق إذا هو أغرب في صنعة خاتم ونحوه.

(٦) هذا قول الذين ذهولوا عن صورة المعنى، وذلك فيما لو اتفق شاعران في الغرض، ثم كان لأحدهما فضيلة ومزية، فإنهم يردونها للفظ.

(٧) سبق حديث الشيخ عن نحو هذا مستدلًا بقولهم: «لفظ متمكن غير قلق ولا ناب به موضعه، وأنه جيد السبك صحيح الطابع...» وغير ذلك من الأوصاف التي يُعلم منها ضرورة أنه لا تكون للفظ من حيث هو صوت وحروف، ولكن من حيث كونه صورة دالة على المعنى، وهناك ذكر الشيخ أن هذه الأوصاف وإن أطلقوها للفظ، فإنها تحمل اعترافًا منهم -دون قصد- بالمعنى، ثم عبّر هنا عن هذا المعنى بطريقة أخرى هي قوله: «ولكن جعلوا كالمواضعة فيما بينهم أن يقولوا «اللفظ» وهم يريدون =

حيث قال: «وذهب الشيخ إلى استحسان المعاني، والمعاني مطروحة وسط الطريق يعرفها العربي والعجمي، والحضري والبدوي، وإنما الشعر صياغة وضربٌ من التصوير»<sup>(١)</sup>.

### [نقد قولهم: إن من أخذ معنى عارياً فكساه لفظاً من عنده كان أحق به]

ومما إذا تفكّر فيه العاقل أطال التعجب من أمر الناس ومن شدة غفلتهم قول العلماء؛ حيث ذكروا الأخذ والسرقة: «إن من أخذ معنى عارياً فكساه لفظاً من عنده كان أحق به»<sup>(٢)</sup>، وهو كلام مشهور متداول يقرأه الصبيان في أول كتاب «عبد الرحمن»<sup>(١)</sup>، ثم لا ترى أحداً من

= الصورة التي تحدث في المعنى...»، والمواضعة تعني الاتفاق الضمني من غير تصريح ولا نص، وكان عبد القاهر ينشد النص على هذا الذي كان كامناً في ضمائرهم من كون اللفظ صورةً للمعنى ودالا على خصوصية فيه، ولو عثر الشيخ على جملة واحدة عندهم تدل على هذا القصد لاستراح كثيراً من هذا العناء الذي استغرق ما يقرب من ثلث دلائل الإعجاز، ولكن من حسناته أن أبرز الأفكار النقدية لعبد القاهر وجدت ماثورة في ثنايا هذه القضية.

(١) يعني عندما اعتدوا باللفظ كان يعنون ما عناه الجاحظ عندما حصر الشعر في كونه صياغةً وتصويراً، وقد يُعد هذا جنوحاً من الشيخ إلى حسن الظن بكلام القاضي عبد الجبار والناس بعض العذر له لا كل العذر؛ لأنه لم ينص على ما يقطع الشك باليقين في مسألة الفصاحة واتصالها بالألفاظ، هذا ما يفهم من جملة كلام عبد القاهر في هذا الشأن.

(٢) هذا القول يتردد عند كثير من النقاد القدماء، وهو يكمل قولهم: «من أخذ معنى بلفظه كان له سارقاً» [راجع: الصناعتين لأبي هلال ت البجاوي، ومحمد أبو الفضل ٢٠٣]، وقد اعترض عبد القاهر على عبارتهم تلك لوضوح الإعلاء فيها من شأن اللفظ مع الفصل بين اللفظ والمعنى؛ إذ جعلوه يأتي عارياً، والمعنى لا يتصور له أن يأتي عارياً من غير لفظ يدل عليه، ولهذا وجدنا الشيخ يفسر اللفظ بأنه صورة يحدثها الشاعر في المعنى، ثم يتناول هذه القضية من خلال رؤية أعمق، ومجال أرحب يضم اللفظ والمعنى معاً في صورة المعنى، ففي «أسرار البلاغة» يحصر الأخذ والاستمداد والاستعانة والسرقة إن وجدت في الصور المبتكرة، أو ما سمّاه بوجه الدلالة على الغرض إذا كان وجهاً غير مألوف، وكذلك التصرف في الصور المألوفة بخصوصية فيها تجعلها جديدة، فهذا ما يحكم فيه بالسبق أو الأخذ، إن أخذها لاحق من سابق [بتصرف موجز عن أسرار البلاغة ٣٣٨: ٣٤١]، على أنه في «دلائل الإعجاز» لا يرى بالضرورة أن يتفوق الأخذ دائماً، فقد يأخذ الشاعر ويتفوق على من أخذ منه، وقد يأخذ ويقصر، وذلك فيما لو كان هناك معنى تناوله بيتان يكون في أحدهما غفلاً وفي الآخر مصوراً مصنوعاً [راجع: الدلائل ٤٨٩]، فعين عبد القاهر حينئذ لم تكن على الأخذ على كل ذاته، ولكن في كيفية الأخذ، وهل قصر الأخذ أو أجاد، مع عدم نفي الأخذ في حال، فالمهم عنده هو كيف كان الأخذ، وبلباقة هادفة يعرض الشيخ نماذج شتى يضع فيها المأخوذ إلى جنب المأخوذ منه تاركاً لأدواقنا استنباط أي المعنيين غفلاً، وأياًها مصوراً مصنوعاً [من ص ٤٩٠ إلى ٥٠٠]، ثم ينتقل إلى نماذج ضرب آخر، ترى في كل واحد من البيتين صنعةً وتصويراً وأستاذيةً على الجملة [دلائل الإعجاز من ٥٠٠ إلى ٥٠٨]، وكانت له وقفات مع بعض نماذج الضرب الثاني يوضح ما فيها من صنعة وتصوير بخلاف الضرب الأول الذي لم

ترى أحدًا من هؤلاء الذين لهجوا بجعل الفضيلة في اللفظ، يفكر في ذلك فيقول: من أين يتصور أن يكون ها هنا معنى عارٍ من لفظ يدل عليه؟ ثم من أين يعقل أن يجيء الواحد منا لمعنى من المعاني بلفظ من عنده، إن كان المراد باللفظ نطق اللسان؟ ثم هب أنه يصح له أن يفعل ذلك، فمن أين يجب إذا وضع لفظًا على معنى أن يصير أحق به من صاحبه الذي أخذه منه إن كان هو لا يصنع بالمعنى شيئًا، ولا يحدث فيه صفة ولا يكسبه فضيلة؟<sup>(٢)</sup>، وإذا كان كذلك، فهل يكون لكلامهم هذا وجه سوى أن يكون اللفظ في قولهم: «فكساه لفظًا من عنده» عبارة عن صورة يحدثها الشاعر أو غير الشاعر للمعنى؟

### [ أمثله لمن أخذ المعنى فأحدث فيه صورة جديدة ]

ثم إن أردت مثالاً في ذلك، فإن من أحسن شيء فيه ما صنع أبو تمام في بيت أبي نخيلة، وذلك أن أبا نخيلة قال في مسلمة بن عبد الملك:

أَمْسَلَمَ إِنِّي يَا ابْنَ كَلِّ خَلِيفَةٌ      وَيَا جِبِلَّ الدُّنْيَا وَيَا وَاحِدَ الْأَرْضِ  
شَكَرْتُكَ إِنَّ الشُّكْرَ حَبْلٌ مِنَ التُّقَى      وَمَا كَلٌّ مَنَ أَوْلَيْتَهُ صَالِحًا يَقْضِي  
وَأَنْبَهْتَ لِي ذِكْرِي وَمَا كَانَ خَامِلًا      وَلَكِنْ بَعْضُ الذِّكْرِ أَنْبَهُ مِنْ بَعْضِ

فعمد أبو تمام إلى هذا البيت الأخير، فقال:

تكن له معه أي وقفه رغم كثرة نماذجه. = وقد كشف الشيخ عن غايته من هذه القضية، ومن تعديد نماذج الضربين، وتتلخص في أن إبداع الشاعر لا يكون في اللفظ لذاته، وإنما يكون في صورة المعنى وكيفية التصرف فيه، وأن صورة المعنى إذا اختلفت عند أحد الشعارين ترتب عليها حتمًا خصوصية في المعنى لا تكون عند الشاعر الآخر، وبهذا ينبغي أن نعيد النظر في قولنا: «إنَّ الشعارين قد قالوا في معنى واحد»، فإن المعنى الواحد لا يظل واحدًا طالما تعددت صورته عند أكثر من شاعر.

(١) هو عبد الرحمن بن عيسى الهمداني المتوفى في سنة ٣٢٤هـ في مقدمة كتابه «الألفاظ الكتابية».

(٢) وبهذا ينحصر نقد الشيخ قولهم ذاك في أمرين:

الأول: أنه يفصل بين اللفظ والمعنى؛ إذ يتصور أن يكون المعنى عاريًا من اللفظ، فيأتي شاعر ليكسوه لفظًا من عنده. الثاني: أنه يجعل الأخذ أحق بالمعنى المأخوذ لمجرد أنه ركب عليه لفظًا من عنده من غير أن يذكروا لهذا اللفظ صفة وفضيلة تجعل الأخذ جديرًا بأن ينسب المعنى له، وهو إنما يكون أحق بالمعنى إذا أحدث فيه صورة تضيفي عليه خصوصية لم تكن عند المأخوذ منه.

لقد زدّت أوصاحي امتدادًا ولم أكن  
ولكن أيادٍ صادفتني جسأمها  
بهيمًا ولا أرضي من الأرض مجَّهلاً<sup>(١)</sup>  
أغرّ أوفت بي أغرَّ مجَّجلاً

وفي كتاب «الشعر والشعراء» للمرزباني فصل في هذا المعنى حسن قال: ومن الأمثال القديمة قولهم: «حرًّا أخاف على جاني كمأة لا قُرًّا»<sup>(٢)</sup>، يضرب مثلاً للذي يخاف من شيء، فيسلم منه ويصبيه غيره مما لم يخفه، فأخذ هذا المعنى بعض الشعراء فقال:

وحذرتُ من أمرٍ فمرَّ جانبي  
لم يلقني، ولقيتُ ما لم أهدر

وقال لبيد:

أخشى على أربد الحتوف ولا  
أرهبُ نوء السَّماك والأسد<sup>(٣)</sup>

قال: وأخذه البحرني فأحسن وطغى اقتدارًا علي العبارة واتساعًا في المعنى فقال:

(١) يلتقي أبو نخيلة مع أبي تمام في أن لكلٍّ منهما ذكرًا حسنًا، وأن للممدوح فضلًا في إظهاره والزيادة عليه، لكن أبا تمام أخذ هذا المعنى، فكساه صورة جديدة؛ إذ استعار لنفسه صورة الفرس الذي كانت بجهته غرة تدل على الأصالة، وقد ازدادت تلك الغرة اتساعًا بالرعاية والعناية وحسن الصحبة، وهذه الصورة أضفت على المعنى خصوصية لم تكن في بيت أبي نخيلة، هي التنبية إلى أصالة الشاعر، «ولم أكن بهما»؛ لأن البهيم من الخيل ما ليس في جهته غرة تدل على الأصالة، ولكن صحبة الممدوح ساعدت على بروز نباهته واتساع شهرته، وأكد هذا في البيت الثاني بأن تلك الأيادي العظيمة التي صادفت نفسًا طموحةً تلمع بمخايلها «أغر» قد زادت من تألقها من كل جانب كما يدل الوصف: «مجللاً» وهو بياض القوائم الذي يؤكد الأصالة، وكل هذا يرشح لاستعارة أوصاف الفرس الأصيل، وقد اعترض بين عناصر هذه الصورة الممتدة بصورة أخرى مؤكدة في قوله: «ولا أرضي - أي: دياري وديار قومي - من الأرض مجَّهلاً، والمجهل: المفازة التي لا يُهتدى فيها، فهذه كناية عن الشهرة الواسعة والأصالة الذاتية القديمة.

وحاصل هذا أننا لا نقول: إن أبا تمام أخذ معنى أبي نخيلة، فكساه لفظًا من عنده، ولكن نقول: إنه أخذ معناه، فركب عليه صورة جديدة أحدثت فيه مزية وخصوصية لم تكن، وبهذا فأبو تمام أحق بالمعنى بما أبدع فيه من تصوير.

(٢) الكمأة: ثمرة تنضج في الشتاء والبرد، والأصل أن يخشى على الذي يجنيها من البرد، لكن لما يتكبد من مشقة وتعب يؤدي إلى حرّه وعرقه، قيل هذا وصار مثلاً يضرب للذي يخشى شيئاً فيسلم منه ويصبيه غيره.

(٣) أربد هذا الذي ورد في البيت هو أخو لبيد بن ربيعة لأمه، وقد أهلكته صاعقة مع طلوع نجمين لم يألّف الناس نزول الصواعق معها وهما السَّماك والأسد، وكان ذلك انتقامًا منه لمجادلته رسول الله ﷺ في ذات الله وكلامه بما لا يليق وما كاد يمضي حتى نزلت صاعقة عليه فأحرقته، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾ [الرعد: ١٣]، وانظر التفسير الكبير للرازي (٢٧/١٩)، ويقصد لبيد أنه خشي على أخيه كل ما يؤدي إلى حتفه إلا شيئاً واحداً لم يتوقعه، فكان منه الهلاك وهو نوء السَّماك والأسد.

لو أنّني أوفي التجارب حقها

فيما أرت لرجوت ما أخشاه<sup>(١)</sup>

وشبيه هذا الفصل فصل آخر من هذا الكتاب أيضًا، أنشد لإبراهيم بن المهدي:

يا مَنْ لقلبٍ صيغٍ من صخرةٍ

في جسدٍ من لؤلؤٍ رطبٍ<sup>(٢)</sup>

جرحتُ خديهِ بلحظي فما

برحتُ حتى اقتص من قلبي

ثم قال: قال علي بن هارون: أخذه أحمد بن أبي فنن معني ولفظًا فقال:

أدميتُ باللحظاتِ وجنته

فاقتصّ ناظرُهُ من القلب

قال: ولكنه بنقاء عبارته وحسن مأخذه قد صار أولى به.

(١) تشترك الأبيات الثلاثة في أصل المعنى وهو التعجب من المفارقة الشديدة بين نجاة الإنسان مما يخشاه وإصابته مما لا يخشاه، ولكن هذا المعنى في المثل وفي البيت الأول والثاني سافر والمفارقة فيها جميعًا ظاهرة؛ إذ تعتمد على الإثبات والنفي الذين يؤديان إلى تلك المفارقة، حتى جاء البحري فكساه ذلك المعنى صورة جديدة لا تعتمد على ما اعتمد عليه سابقوه من الإثبات والنفي، ولكنها تتضمنها وتشير إليها؛ لأن معناه: إن التجارب قد كشفت لمن يُحسن التبصّر عن غرائب الأمور، ولو أني أعطيتها حقها من الاعتبار لرجوت ما كنت أخشاه؛ لأن ما خشيت لم يصبني كما أصابني الذي لم أخشه، وقد غلف هذا المعنى بصورة مثيرة؛ إذ شخّص التجارب وجعلها إنسانًا يرى الشاعر ويطلع على عجائب ما يقع، لكن الشاعر لم ينتبه لذلك، فإنه يتندم ويتلوم؛ لأنه لم يوف التجارب حقها من النظر والاعتبار.

(٢) يصف المحبوب بالجمال المتمنع، فكنتي عن التمتع بهذا التشبيه الضمني الدال على القوة: «قلب صيغ من صخرة»، وكنتي عن الجمال في الشطر الثاني بتشبيه ضمني آخر؛ لأنه يعني تشبيه الجسد باللؤلؤ في الصفاء والبياض، ثم احتسب فوصف اللؤلؤ وصفًا يزيل عنه الشدة، ويجعله رطبًا لينًا، وهنا تبدو المفارقة بين الظاهر الجاذب والباطن الطارد.

والشاهد في البيت الثاني؛ حيث يشترك مع بيت ابن أبي فنن في المعنى والتصوير بداية من النظرة الفاحصة التي جعلت المحبوبة تحجل حتى تدفق الدم إلى خدها، وكأنه قد جرح أو أدمي، ثم كان رد المحبوبة عليه بنظرة كالسهام الذي أصاب قلبه فتخيل أنها بذلك تقتص مما أصابها في خدها، وكل ذلك تخييل بعد تخييل بواسطة الكناية والتمثيل.

فالمعنى في البيتين واحد والصورة واحدة تقريبًا، ولكن ابن أبي فنن تصرف في عبارته ونظمه تصرفًا حسنًا؛ إذ قال: «أدمت»، وهي أدق في الدلالة على حمرة الخد بسبب اللحظ، وقدم سبب الإدماء وهو اللحظ مجموعًا وأخر المفعول، فقال: «أدميت باللحظات وجنته»، وهو أنقى نظمًا وأسلس عبارة من «جرحت خديهِ بلحظي»، ثم إن ابن أبي فنن جعلها أسرع قصاصًا بواسطة الفاء التي أغنت عن جملة كاملة في قول ابن المهدي: «فما برحت»، وصرّح بأداة الاقتصاص، وهي نظرتها ليكون قصاصًا عادلاً. وهذا ضرب من التصرف غير ما سبق؛ لأن ما سبق كان نقلًا للمعنى الساذج إلى معنى مصور، وهنا نقل للمعنى المصور إلى مثله مع التصرف في النظم بما يجعله أنقى وأسلس وأدق في المعنى.

ففي هذا دليل لمن عقل أنهم لا يعنون بحسن العبارة مجرد اللفظ، ولكن صورةً وصفةً وخصوصية تحدث في المعنى، وشيئاً طريق معرفته - على الجملة - العقل دون السمع، فإنه على كل حال لم يقل في البحري أنه «أحسن قطعاً اقتداراً على العبارة من أجل حروف «لو أنني أوفي التجارب حقها».

وكذلك لم يصف ابن أبي فنن بنقاء العبارة من أجل حروف «أدميت باللحظات وجنته»<sup>(١)</sup>.

### [صورة المعنى تختلف من كلام إلى آخر بحسب طريقة النظم وتوخي معاني النحو].

وجملة الأمر أنه كما لا يكون الذهب والفضة خاتماً أو سواراً أو غيرهما من أصناف الحلي بأنفسهما، ولكن بما يحدث فيهما من الصورة، كذلك لا تكون الكلم المفردة التي هي أسماء وأفعال وحروف كلاماً وشعرًا من غير أن غير أن يحدث فيها النظم الذي حقيقته توخي معاني النحو وأحكامه.

فإذن ليس لمن يتصدى لما ذكرنا من أن يعُود إلى بيت، فيضع مكان كل لفظة منها لفظة في معناها<sup>(٢)</sup> إلا أن يُستركَّ عقله، ويستخف<sup>(٣)</sup>، ويعد معد الذي حكى أنه قال: «إني قلت بيتاً هو أشعر من بيت حسان، قال حسان»:

يُغشون حتى ما تهرُّ كلابهم      لا يسألون عن السواد المُقبل

(١) هذا من باب الاستئناس بكلام المرزباني، فيقول عبد القاهر: إنه لم يشن على شعر البحري «لو أنني أو في التجارب...» من أجل حروفه، ولم يشن على شعر بن أبي فنن من أجل أصواته، ولكن لأن كلا منهما أحدث في المعنى صورة لم تكن، والصورة هنا متسعة المفهوم، فتتناول طريقة تشكيل المعنى وتصويره.

(٢) كأن ينظر أحد إلى بيت الخطيئة:

دع المكارم لا ترحل لبغيتهما      واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

فيقول:

ذر المفاخر لا تذهب لمطلبها      واجلس فإنك أنت الأكل اللابس

فهذا مما لا يعتد به، ولا يكون جديرًا بالنظر فيه والموازنة بينه وبين ما أخذ منه؛ لأن صورة المعنى لم تختلف والنظم هو هو، ولم يُبدل الجهد الذي يقتضيه النظم من التفكير والتدبر والتخير وترتيب الكلمات في النفس وفق معاني النحو... إلخ، وإنما جاء بكلمات مرادفة لكلمات الخطيئة سارقاً نظمه وفكره، [راجع: دلائل الإعجاز، ت شاكر ٤٨٧].

(٣) يسترك عقله ويستخف: أي يُعد ركيكاً خفيفاً ليس له وزن.

وقلت:

يُغشون حتى ما تهرُّ كلابهم      أبداً ولا يسألون من ذا المقبل

فقليل: هو بيت حسان، ولكنك أفسدته.

واعلم أنه إنما أتى القوم من قلة نظرهم في الكتب التي وضعها العلماء في اختلاف العبارتين على المعنى الواحد، وفي كلامهم في أخذ الشاعر من الشاعر، وفي أن يقول الشاعران على الجملة في معنى واحد<sup>(١)</sup>، وفي الأشعار التي دونوها في هذا المعنى ولو أنهم كانوا أخذوا أنفسهم بالنظر في تلك الكتب، وتدبروا ما فيها حق التدبر لكان يكون ذلك قد أيقظهم من غفلتهم، وكشف الغطاء عن أعينهم.

### [ أمثلة للمعنى الواحد الذي تتعدد صورته عند الشعراء وهي قسمان: ]

وقد أردت أن أكتب جملة من الشعر الذي أنت ترى الشاعرين فيه قد قالوا في معنى واحد، وهو ينقسم قسمين:

قسم أنت ترى أحد الشاعرين فيه قد أتى بالمعنى غفلاً ساذجاً، وترى الآخر قد أخرجه في صورة تروق وتعجب.

وقسم أنت ترى كل واحد من الشاعرين قد صنع المعنى وصور.

وأبدأ بالقسم الأول الذي يكون المعنى في أحد البيتين غفلاً، وفي الآخر مصوراً مصنوعاً<sup>(٢)</sup>، ويكون ذلك إما لأن متأخراً قصر عن متقدم، وإما لأن هدي متأخر لشيء لم يهتد

(١) توالي عطف هذه الجمل للتلخيص وليس للتغاير، فهذه الجمل الثلاث تدور حول فكرة واحدة؛ لأن أخذ الشاعر من غيره يؤدي إلى اختلاف العبارة عن المعنى الواحد في الغالب، وتلك الفقرة تتضمن أمور:

- أن صورة المعنى إنما تختلف من كلام إلى كلام آخر بحسب طريقة كل شاعر في نظمه، وذلك في الأخذ الذي يعتد به.

- أن القوم الذين لا يرون النظم إلا ضمّاً للألفاظ قد وقعوا في هذا الظن من قلة نظرهم في كتب القدماء التي تحدثت عن صور الأخذ عند الشعراء، فإن في تعليقاتهم ما يدل على أن اختلاف العبارة والصورة ناشئ عن خصوصية في المعنى، ومن هذه الكتب الوساطة، والموازنة، والإبانة عن سرقات المتنبي إلخ...

- وكلام الشيخ يتضمن الثناء على كتب القدماء التي توفرت بعناية فائقة على هذا الموضوع، والحق أن قضية الأخذ والسرقات من أنضح القضايا النقدية المحسومة عند القدماء.

(٢) في هذا القسم يعيد عبد القاهر صياغة الفكر النقدي عند المتقدمين في ضوء رؤية جديدة مستنبطة =

يهتد إليه المتقدم، ومثال ذلك قول المتنبي:

شوقاً إلى مَنْ بيئتُ يرقدها

بئس الليالي سهدتُ من طربي

مع قول البحري:

ضدّين: أسهره لها وتنامه<sup>(١)</sup>

ليلٌ يصادفني ومرهفة الحشا

وقول البحري:

قوداً لكان ندى كفيك من عُقلي<sup>(٢)</sup>

ولو ملكتُ زماماً ظلّ يجذبني

مع قول المتنبي:

ومَنْ وجد الإحسان قيّداً تقيّدا<sup>(٣)</sup>

وقيدتُ نفسي في ذراك محبّة

=

= من واقع الشواهد، ويفهم من كلامه «ويكون ذلك إما لأن متأخراً قصر...» أنه لا يعنيه الأخذ من جهة المقدار والكم أي مقدار ما عند الشاعر من اتباع أو اختراع وقياسه إلى غيره من الشعراء، وإنما كان يعنيه كيفية أخذ الشاعر، وهل قصر عن سابقه أو أجاد، أي أن مقياس حكمه في هذا الموضوع ليس مقدار ما أخذه الشاعر، ولكن كيف أخذ، وهذه نظرة متطورة في مجال البحث النقدي لقضية السرقات، وهي تدفع الشعراء إلى الإجادة فيما يأخذون دون تخرج من الأخذ في ذاته.

(١) المعنى الذي يشترك فيه البيتان هو الشكوى والألم من تباين حال المحب مع المحبوب، فالمحب يقطع الليل سهاداً وشوقاً، وهي تنامه ملء جفونها، والمتنبي يظهره ضجره ابتداءً بأسلوب الدم، لكن كلمة «طربي» لا تتفق مع هذا الدم، ولا تنسجم مع السهاد والشوق، مهما كان تأويلها، ولو قال: «سهدت من ألمي شوقاً...» لكان أوفق.

أما صورة البحري، فتتميز بالنص على الصفة التي كانت سبب استحضار صورتها مقترنة بالليل، فهي «مرهفة الحشا»، وفي الشطر الثاني ذكّر للمعنى مرتين: بالإجمال والتفصيل، وفيه إثارة وتشويق وتوضيح بعد إهمام، وفيه مجاورة الضدين مما يدعو للتعجب، وفيه تعدي الفعل إلى مجرور مشحون بالمعاني في «لها»؛ لأنه يتناول التذكر والحين والشوق والألم، فهو يفيد أكثر مما يفيد كلمة «شوقاً» في بيت المتنبي.

(٢) يعني: أن الرحيل تراودني دواعيه بقوة، ولو ملكت عزماً يمنعني من الرحيل لكان جودك من «عقلي» أي: من القيود التي منعتني، وهو جمع عقال، والعقال حبل يربط به البعير ليمنع من الانطلاق، وهذه الاستعارة تشي بأنه لم يكن راغباً في المكث لولا جود الممدوح الذي صار قيّداً من القيود الأسرة.

(٣) الدّرى بفتح الراء: كل ما يُجتمى به، والمعنى المشترك بين البحري والتنبي أن جود الممدوح كان قيّداً يمنع الشاعر من الرحيل، لكن الجود عند البحري كان سبباً من الأسباب وقيّداً من القيود التي منعت، لكن الجود عند المتنبي كان هو السبب الوحيد، على أن صياغة البحري تشي بأن قيده ومنعه كان حرّجاً من جود ممدوحه، لكن المانع عند المتنبي هو المحبة، ثم يتميز المتنبي بالتعليل للرضا بالقيّد في: «ومن وجد الإحسان قيّداً»، وهو مما يجري مجرى المثل، كما تميز بالصياغة السلسة السهلة التي تناسب تألق المعنى وقوة

وقول المتنبي:

أعطاك مُعْتَذِرًا كمن قد أجزما      يُعْطِيكَ مُبْتَدِرًا فَإِنِ أَعْجَلْتَهُ

مع قول أبي تمام:

إِلَيْنَا وَلَكِنْ عُدْرُهُ عُدْرٌ مُذْنِبٌ<sup>(١)</sup>      أَخُو عَزَمَاتٍ فَعَلَهُ فِعْلٌ مُحْسِنٌ

وقول المتنبي:

وقد لَقِحَتْ حَرْبٌ فَإِنَّكَ نَازِلٌ<sup>(٢)</sup>      كَرِيمٌ مَتَى اسْتَوْهَبْتَ مَا أَنْتَ رَاكِبٌ

مع قول البحري:

سَبَابٌ يَوْمَ لِقَاءِ الْبَيْضِ مَا نَدَمَا      مَاضٍ عَلَى عَزْمِهِ فِي الْجُودِ لَوْ وَهَبَ الشَّدَّ

وقول أبي تمام:

مِنْ غَيْرِهِ ابْتِغَيْتَ وَلَا أَعْلَامٌ      الصُّبْحِ مَشْهُورٍ بِغَيْرِ دَلَائِلِ

مع قول المتنبي:

الإحساس، ومن الشاهدين السابقين يتبين أن المتنبي أخذ من البحري، فقصر عنه تارة وتفوق تارة. (١) من المعروف أن المتنبي أخذ من أبي تمام، والفرق بينهما أن المعنى عند أبي تمام أشمل، فهو يمدح بكل ما يدل على الهمة والنخوة والنجدة والجدد كما يدل على ذلك قول: «فعله فعل محسن» بدل كرمه أو جوده... إلخ، ثم إن اعتذاره لم يكن لأن أحداً تعجله، ولكن ربما شعر هو بالإبطاء، فيعتذر اعتذار المذنب، أما المتنبي، فقد خصص هذا المعنى في العطاء، واقتصر على وصف الممدوح بالمبادرة في هذا، وفأته الوصف بالإحسان الذي نص عليه أبو تمام، ثم إن المتنبي عرض نفسه للمهانة بالتعجل في السؤال، وفي تعجل السائل فدح في المسئول؛ لأنه أمهله وأبطأ عليه حتى ألجأه إلى التعجل. (٢) يمدح سيف الدولة بالكرم الذي يتضمن الجرأة والشجاعة، وقد صرّح بكرمه ابتداءً في جملة موجزة حذف أحد ركنيها، فصارت كلمة واحدة تقول مقام الدعوى التي قطع عندها الكلام - كريم - ثم استأنف بالبرهان الدال على تلك الصفة، فلو سأله أحد فرسه الذي يسعى للقتال عليه لنزل فوراً وأعطاه من يطلبه، ويتضمن هذا جرأته؛ لأنه سيسعى للقتال راجلاً. وقد أخذ البحري هذا المعنى في صورة أكثر تألقاً؛ إذ مزج بين الوصفين، فجعل التضحية بالنفس ضرباً من الجود، وأنه وليد عزم صدق ظل يرتقي من الجود بالمال حتى انتهى إلى الجود بالنفس والشباب، وهو أزهى فترات الحياة من غير ندم أو تردد، وفي البيت ضرب من التناسب والتناغم في القوة والهمة بين «ماضٍ على العزم» و«يوم لقاء البيض»، و«ما ندما»، وشتان بين من يجود بما يركب ومن يجود بنفسه وشبابه.

- وليس يصح في الأفهام شيءٌ  
وقول أبي تمام:  
وفي شرف الحديث دليلٌ صدق  
مع قول المتنبي:  
أفعاله نسبٌ لو لم يقل معها  
وقول البحرري:  
وأحبُّ آفاق البلاد إلى الفتى  
مع قول المتنبي:  
وكلُّ امرئٍ يُؤلي الجميل محبُّ  
وقول خالد الكاتب:
- إذا احتاج النَّهار إلى دليلٍ<sup>(١)</sup>  
لمختبرٍ على الشرف القديم  
جدِّي الخصبُ عرفنا العرقَ بالغصنِ<sup>(٢)</sup>  
أرضٌ ينال بها كريمَ المطلبِ  
وكل مكان يُنبئ العزَّ طيبٌ<sup>(٣)</sup>

(١) كل من بيت أبي تمام وبيت المتنبي من التمثيل في عقب المعنى، والمعنى الذي يمثل له أبو تمام هو = مدح الخليفة الواثق والدفاع عن حقه في الخلافة، وكان هناك من يشكك في ذلك؛ لأن أمه كانت جارية، ولكن نجابته وحسن سيرته وعظيم أفعاله كانت جميعاً ترشحه وتؤهله للخلافة، راجع ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ج ٣ ص ٢٠٣ تحقيق محمد عبده عزام دار المعارف ط أما المتنبي، فكان يحتج لقوة شاعريته، وأنها لا تخفى إلا على سقيم العقل، فنقل معنى أبي تمام من مجال إلى مجال آخر، وطوّر في صورة المعنى؛ إذ لم يكنف كأبي تمام في التمثيل بالصبح الذي لا يحتاج إلى دليل، ولكنه جعل من يطلب الدليل على شاعريته كمن يطلب دليلاً على وجود النهار، ولا يكون ذلك إلا من عدم التفكير، فلا يُعبأ به ولا يلتفت إليه، وتفوق المتنبي يرجع إلى توهج الإحساس؛ لأنه يدافع بحرارة عن شيء يمس أعز ما كان يعتد به ويفتخر.

(٢) بيت أبي تمام أسلس نظماً، لكن بيت المتنبي أوعى وأغزر معنى، فالأفعال عنده هي التي تدل على الأصالة، وليس مجرد الأقوال كما جاء في بيت أبي تمام، وقد عرض المتنبي المعنى مرتين: مرة بالتشبيه والتقريب في جملة موجزة: «أفعاله نسب»، ومرة بالتمثيل في: «عرفنا العرق بالغصن» أي: عرفنا الأصل من الفرع الدال عليه، وكان المتنبي يمدح محمد بن عبد الله بن محمد الخطيب الخصبى القاضي الأنطاكي، وكان جده الخطيب الخصبى معروفاً بالوجهة وحسن الوفادة والجدود راجع ديوان المتنبي ١٧٠ دار صادر بيروت.

(٣) المعنى في بيت البحرري تقرير عادي لا غرابة فيه، وهو يعني أن أحب البلاد إلى الفتى أرض ينال بها ما يريد، لكن المتنبي جعل الارتباط بالناس وبالمكان وليس بالمكان حسب، فالقلوب طبعت على حب من يسدي إليها جيلاً، ثم خيل أن العز ينبت في المكان الذي يكون محلاً للجدود حتى جعل للعز صورة النبات والزهر الجميل، ووازن بين العروض والضرب بلفظين بينهما من الألفة والانسجام والتوازن الإيقاعي ما لا يخفى على ذي بصيرة فنية «محب وطيب».

رقدت ولم تَرُثِ للساھر وليل المحبِّ بلا آخر

مع قول بشار:

لخدك من كفيك في كل ليلة  
تبيتُ تُراعي الليل ترجو نفاذهُ  
إلى أن ترى ضوء الصباح وسادُ  
وليس ليل العاشقين نفاذُ<sup>(١)</sup>

وقول أبي تمام:

لئن كان ذنبي أن أحسنَ مطبِّي  
أساء ففي سوء القضاء لي العذرُ<sup>(٢)</sup>

مع قول البحري:

إذا محاسني اللاتي أدل بها  
كانت ذنوبي فقل لي كيف أعتذرُ

وقول المتنبي:

يُقرُّ له بالفضل من لا يودُّه  
ويقضي له بالسعد من لا يُنجمُ

مع قول البحري:

لا أدعي لأبي العلاء فضيلةً  
حتى يسألها إليه عداه<sup>(٣)</sup>

(١) يدور بيت خالد وبيتي بشار حول طول ليل المحبين، ومع أن بيت خالد أسلس نظماً وأقل لفظاً وأغزر معنى؛ لأنه قابل بينه في سهره يتلظى وبين حبيبه الذي رقد ملء جفونه لا يابه بالساھر ولا يرثي له، فإن شعر بشار مع هذا أجود لأن فيه متابعة دقيقة للحالة الوجدانية للعاشق والصورة الدالة عليها بتفاصيلها التي تثير الأسى؛ إذ يتخذ من كفيه وساداً لخدیه في كل ليلة إلى أن يظهر ضوء الصباح الذي يطول انتظاره بعد ليل يبيت يراعيه ويرجو نفاذه، وليل العاشقين ليس له نفاذ، وهو يقصد نفسه وترجيح عبد القاهر شعر بشار ينسجم مع مذهبه النقدي في عد الشعر جنساً من التصوير المؤثر.

(٢) يدور بيت أبي تمام وبيت البحري حول حصول الإساءة من الجهة التي كان يتوقع منها الإحسان، وكل منهما ينفي عن نفسه التقصير بصياغة واحدة هي الشرط وجوابه، لكن أبا تمام يعتذر بسوء الأقدار والصدمة عند البحري كانت أقوى؛ لأنه أصيب في المحاسن اللاتي يدل بها وبيته مما جعله يتوقف مندهشاً متحيراً كيف يعتذر خشية أن يحسب عليه الاعتذار أيضاً، فقد أصبح يتشكك في كل ما يصدر منه، وهو معنى لطيف منسجم مع سياقه.

(٣) بيت البحري أسلس نظماً، وهو تفصيل بارع للشطر الأول من بيت المتنبي، ويعني أن فضله من الظهور بحيث يقرُّ العدو، فما بالك بالصدیق، أما الشطر الثاني عند المتنبي فيعني معنى آخر هو أن أمارات سعده وصعود نجمه بادية لكل ذي بصر، فليست مستورة تحتاج إلى منجم يكشف عنها، والعبرة عند عبد القاهر فيما يبدو ليست بكثرة المعنى، ولكن بحسن الصياغة وبراعة التشكيل ولو كان المعنى أقل كما عند البحري.

وقول معن بن أوس:

إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد إليه بوجه آخر الدهر تُقبل

مع قول العباس بن الأحنف:

نقل الجبال الرواسي من أماكنها أخف من رد قلب حين ينصرف<sup>(١)</sup>

وقول جرير:

بعثن الهوى ثم ارتمى قلوبنا بأسهم أعداء وهن صديق<sup>(٢)</sup>

مع قول أبي نواس:

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق

وقول كثير:

إذا ما أردت خلة أن تزيلنا أينا وقلنا الحاجية أول<sup>(٣)</sup>

مع قول أبي تمام:

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب إلا للحب الأول

(١) يلتقي العباس مع معن في أن النفس إذا انصرفت عن شيء لم تعد إليه أبداً زهداً فيه، لكن ابن أوس أكد هذا المعنى بالتأييد الزمني «آخر الدهر»، وأكد العباس بالتشبيه الضمني التمثيلي المبالغ والذي يجعل العودة إلى الشيء بعد الزهد فيه والانصراف عنه ضرباً من المحال مثل نقل الجبال الرواسي، وهي صورة تعكس كثيراً من الإصرار والقوة والعزيمة.

(٢) يعتب جرير في مرارة على أحبته؛ لأنهم حركن الساكن من الهوى وبعثته في القلوب، ثم رمين تلك القلوب على غفلة كرمي الأعداء في فسوة مع أنهم صديق، فجملة «وهن صديق» فيها ما فيها من المفارقة والمفاجأة والعجب والدهشة، ويقصد أنه خدع في ظنه منهن الأمان فكانت الرمية مسددة قاتلة لعدم أخذ الحذر، وفي بيت جرير حسن، لكن أبا نواس برع في نقل فحوى بيت جرير إلى مجال آخر هو خداع الدنيا وظهورها على غير حقيقتها، فهي عدو يمعن في التحفي ولباس ثياب الصديق، فلا يكشف حقيقتها إلا لبيب، والبراعة هنا في نقل المعنى من مجال إلى مجال آخر، وفي صياغة عامة حتى صار مثلاً.

(٣) يقصد كثير: إذا عمدت خليله إلى زحزحته عن حبه الأول تشبث هو به، ولم ير بأساً من إعلان وفائه للحاجبية - عزة - وهو لا يعدل عن حبه الأول.

وقد نجح أبو تمام في صياغة المعنى صياغة عامة حتى صار مثلاً يضرب، وأنه لو سمح لقلبه أن يتنقل، فسيجد نفسه في النهاية مشدوداً للحب الأول. وصياغة المعنى بالنفي والاستثناء في الشطر الثاني يدل على أن ما سواه عبث وهو.

وقول أبي تمام:

فَنَعِمَتْ مِنْ شَمْسٍ إِذَا حُجِبَتْ بَدَتْ      مِنْ خَدْرِهَا فَكَأَنَّهَا لَمْ تُحَجَّبِ<sup>(١)</sup>

مع قول قيس بن الخطيم:

قَضَى لَهَا اللَّهُ حِينَ صَوَّرَهَا الـ      خَالِقُ أَنْ لَا يُكْنِهَا سَدْفُ

وقول المتنبي:

رَامِيَاتٍ بِأَسْهَمٍ رِيْشُهَا الْهَدْبُ      بُّ تَشَقُّ الْقُلُوبِ قَبْلَ الْجُلُودِ<sup>(٢)</sup>

مع قول كثير:

رَمَمْتَنِي بِسَهْمٍ رِيْشُهُ الْكُحْلُ لَمْ يَجْزُ      ظَوَاهِرَ جِلْدِي وَهُوَ فِي الْقَلْبِ جَارِحُ

وقول بعض شعراء الجاهلية ويعزى إلى لبيد:

وَدَعَوْتُ رَبِّي بِالسَّلَامَةِ جَاهِدًا      لِيُصَحِّحَنِي فَإِذَا السَّلَامَةُ دَاءُ

مع قول أبي العتاهية:

أَسْرَعَ فِي نَقْصِ أَمْرِي تَمَامُهُ      تُذَبِّرُ فِي إِقْبَالِهَا أَيَّامُهُ<sup>(٣)</sup>

(١) وصف أبو تمام محبوبته بالجمال الأخاذ، فجعل لها شعاعًا نافذًا لا يمنعها حجاب، فاستعار لها الشمس التي لا يحجب ضوءها سحاب ما وتقدير الصورة بأسلوب المدح يدل على امتلاء نفسه بحسنها. وبيت قيس أنفذ وأغرب وأشد في ثبوت تلك الصفة لمحبوبته؛ لأنها نتيجة قضاء مبرم قضاه لها الله، ونتيجة تصوير مبدع من الخالق ﷻ، والسدف: الظلام، و«لا يكنها سدف» يعني أن نورها أقوى من الظلام فيقهره، ولا يكون كذلك إلا القمر، فإذا كان أبو تمام جعل محبوبته شمسًا، فقد جعل ابن الخطيم محبوبته قمرًا لا يمنع الظلام نوره، وزاد صورته جلالًا وغرابةً بجعل ذلك عنده قضاء مبرمًا وتصويرًا مبدعًا.

(٢) لما استعار المتنبي الأسهم للأعين الساحرة المؤثرة جعل الهدب ريشها لتكون أشد تأثيرًا وإصابة، وكانت من سرعة تأثيرها حتى شقت القلوب قبل الجلود، فكأنها تصيب الداخل أولاً ثم يظهر أثر الإصابة تاليًا.

وكذا جعل كثير، فلما جعل النظرة الساحرة المؤثرة سهماً جعل ريشه الكحل، وقول المتنبي أوجز وأسلس وأمضى في شق القلوب قبل الجلود، لكن قول كثير أدعى للعجب والغرابة؛ لأنه أدمى قلبًا مجروحًا وهو لم يميز الجلد.

(٣) يجمع بين هذا البيت والذي قبله: فقدان لذة العيش مع تقدم العمر، ومهما كان في الكبر من دعة وسلامة وتمام، فإن فيه إحساسًا بالقلق والخوف من النهاية، ويكمن حسن بيت لبيد فيما فيه من مفارقة ومفاجأة في قوله: «فإذا السلامة داء»، ويكمن حسن بيت أبي العتاهية في أن جعل إقبال الأيام إدبارًا لها، للتحويل

وقوله:

أَقْلَلْ زيارَتَكَ الحَبِيْبَ      إن الصّدِيقَ يُمَلِّئُهُ  
بَ تَكُونُ كالثوبِ اسْتَجَدَّهُ      أن لا يَزَالَ يَراكَ عِنْدَهُ

مع قول أبي تمام:

و طول مُقَامِ المرءِ فِي الحَيِّ مُخْلَقٌ      لَدِيابَجَتِيهِ فاغْتَرَبْتُ تَتَجَدَّدُ<sup>(١)</sup>

وقول البحرني:

أَلَمْ تَرَ للنوائِبِ كِيفَ تَسْمُو      إلى أَهْلِ النوافِلِ والنَفْضُولِ

مع قول المتنبي:

أَفْضَلُ النَاسِ أَغْرَاضٌ لَذا الزَمَن      يَخْلُو من اهِمِّ أَخْلاهِمِ من الفِطَنِ<sup>(٢)</sup>

وقول المتنبي:

تَذَلَّلْ لها واخْضَعْ عَلى القُربِ والنَوى      فَمَا عاشِقٌ مَن لا يَذِلُّ وَيخْضَعُ

للتحول إلى الضعف المؤذن بالفناء، والغرابة هنا في جعل الأيام مقبلة مدبرة معًا، وقد تحول أبو تمام بالمعنى من التجربة الفردية إلى التجربة الجماعية المتصلة بالحكمة والعبرة في قوله:  
لكل شيء إذا ماتم نقصان      فلا يغرن بطيب العيش إنسان

(١) عكس أبو تمام المعنى قبله؛ إذ بدأ بما انتهى به السابق وهو أثر طول مقام المرء أو الصديق، وكساه أبو تمام صورة استعارية في «مخلق لديباجتيه»، فهو في الأصل وصف للثوب الحسن الرونق إذا قُدّم وبلي، وتثنية الديباجة بالنظر إلى الحسن والحياء معًا، ثم أنهى البيت بما بدأ به السابق مع تجريده من ذلك التشبيه وإيجازه إيجازًا حسنًا في «فاغترب تتجدد»، ويزيد حسن بيت أبي تمام وصله بالتمثيل بعده:  
فإني رأيت الشمس زیدت محبة      إلى الناس أن ليست عليهم بمرمد

(٢) يدور البيتان حول كون أفاضل الناس عرضة لنوائب الزمن دون غيرهم، وبيت البحرني فيه حسن يكمن في تتابع الاستفهام المشحون بالدهشة والاستغراب من تلك النوائب التي تترك أسافل الناس وتسمو لأفاضلهم من أهل الصلاح، لكنه اقتصر ذكر سموها لأهل النوافل، فدل ضمناً على تركها للرعاع.

وبيت المتنبي أبين في الدلالة على تلك المفارقة الغربية؛ إذ قابل صراحة بين تلك الحالين الغريبين أي: رمي الزمان لأفاضل الناس وتركه عوامهم ينعمون، وإذا كان البحرني قد صور النوائب وهي تسمو وترقى فقد صور المتنبي الزمن في صورة خصم يصوب سهام بلائه عمدًا للأفاضل حتى صاروا أغراضًا له من دون سائر الناس، وقد انسجمت لغته ومواقع كلماته مع اهتماماته، والتوازن واضح بين العروض والضرب وبين «يخلو» و«أخلاههم».

مع قول بعض المحدثين:

كُن إِذَا أَحْبَبْتَ عَبْدًا  
لَنْ تَنَالَ الْوَصْلَ حَتَّى  
لِلَّذِي تَهْوَى مُطِيعًا  
تُلْزَمُ النَّفْسَ الْخُضُوعًا<sup>(١)</sup>

وقول المتنبي:

مَظْلُومَةُ الْقَدِّ فِي تَشْبِيهِهِ غُصْنًا  
مَظْلُومَةُ الرَّيْقِ فِي تَشْبِيهِهِ ضَرْبًا<sup>(٢)</sup>

مع قوله:

إِذَا نَحْنُ شَبَّهْنَاكَ بِالْبَدْرِ طَالِعًا  
وَنَظَلُّمٌ إِنْ قَسْنَاكَ بِاللَيْثِ فِي الْوَعْيِ  
بَخَسْنَاكَ حَظًّا أَنْتَ أَهْيَى وَأَجْمَلُ  
لَأَنَّكَ أَحْمَى لِلْحَرِيمِ وَأَبْسَلُ

### [ القسم الثاني: في البيتين صناعة وتصوير ]

ذَكَرُ مَا أَنْتَ تَرَى فِيهِ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْبَيْتَيْنِ صِنْعَةً وَتَصْوِيرًا وَأَسْتَادِيَّةً عَلَى الْجُمْلَةِ، فَمَنْ ذَلِكَ وَهُوَ مِنَ النَّادِرِ، قَوْلٌ لِبَيْدٍ:

وَكَذِبِ النَّفْسِ إِذَا حَدَّثَتْهَا  
إِنْ صَدَقَ النَّفْسُ يُزْرِي بِالْأَمَلِ<sup>(٣)</sup>

(١) تسود لغة التذلل والخضوع ليكون برهاناً على المحبة والعشق في البيتين، لكن المحدث زاد الخضوع بالتشبيه في الشطر الأول، وأضاف في البيت الثاني غاية تتجاوز العشق، وهي بلوغ المنى والوصول، وتلك من معاني الخنوع التي لا تليق بالرجال، والمرأة التي يغرها هذا الخضوع ولا ترضى بالوصل إلا بخضوع الرجل وذلك، هي بلا شك مريضة نفسياً، والأصل في المرأة التصون والأصل في الرجل التعفف والحفاظ على أباء الرجولة.

(٢) يرى المتنبي قدها أتم من الغصن في الاستقامة والليونة، ويرى ريقها أشهى من العسل، لهذا جعل ذلك القد مظلوماً في تشبيهه بالغصن، وجعل الريق مظلوماً في تشبيهه بالعسل، لكن الشاعر الآخر يجعل ممدوحه هو المظلوم في تشبيهه بالبدر الطالع؛ لأنه أهى من البدر، ويجعل ممدوحه مظلوماً في تشبيهه بالليث؛ لأنه في دفاعه عن الحريم أبسل من الليث، وهذا هو الفرق الذي من أجله حكم عبد القاهر على المتنبي بالتقصير، يقول في حاشية له على بيت المتنبي: «سبب ما ترى فيه من القصور أن الواجب أن تجعل هي نفسها مظلومة من أجل تشبيه قدها بالغصن، وريقها بالضرب، لا أن يجعل القد والريق مظلومين، ألا ترى أن اللائق أن يقول: إن شبهت قدها بالغصن ظلمتها، ولا يحسن أن يقول: إن شبهت قدها بالغصن ظلمته». انتهى كلامه. وأنا لا أفهم تلك العلة، ولماذا لا يحسن أن نقول: إن شبهت قدها بالغصن ظلمته، إلا أن يكون هذا النقد مبنياً على مراعاة تقاليد العرب في التشبيه.

(٣) يعني: إذا همت بأمر عظيم لا تطيقه فلا تتردد وحدث النفس بقدرتك ولو كذباً؛ لأن صدق النفس بعدم القدرة يؤدي للتأخر وضياح الأمل، ومغزى البيت حث على المغامرة للظفر بالأمر العظيم.

مع قول نافع بن لقيط:

وإذا صدقت النفس لم تترك لها      أملاً ويأمل ما انتهى المكذوب<sup>(١)</sup>

وقول رجل من الخوارج أتى به الحجاج في جماعة من أصحاب قطري<sup>(٢)</sup> فقتلهم، ومن عليه ليد كانت عنده، وعاد إلى قطري، فقال له قطري: عاود قتال عدو الله الحجاج، فأبى وقال:

أفأقبل الحجاج عن سلطاناه      بيدٍ تُقربُ بأنما مولاتهُ<sup>(٣)</sup>  
 ماذا أقول إذا وقفتُ إزاءهُ      في الصّفِّ واحتجّجتُ له فعلاَتُهُ  
 ومحدّث الأقوام أن صنائعا      غرستُ لديّ فحفظتُ نخلاَتُهُ

مع قول أبي تمام:

أسربلُ هُجرَ القولِ من لو هَجَوْتُهُ      إذن لهجاني عنه معروفُهُ عندي<sup>(٤)</sup>

(١) أخذ ابن لقيط معنى لبيد، فقدّم فيه وأخر، فقوله: «وإذا صدقت النفس لم تترك لها أملاً» هو قول لبيد: «إن صدق يزري بالأمل»، لكن قول لبيد أوجز وأؤكد وأحكم في اختيار لفظه، وقول ابن لقيط: «ويأمل ما انتهى المكذوب» هو قول لبيد: «وأكذب النفس إذا حدثتها»، لكن قول ابن لقيط أبين في الدلالة على بلوغ الغاية وحصول الأمل، وبهذا يتفوق أحدهما في جزء من المعنى، ويتفوق الآخر في الجزء الثاني، فهما يتكافآن ويتعادلان، واللافت أن البيتين يخلوان من الصور البيانية كالتشبيه والاستعارة والكنائية، وقد قال الشيخ قبلهما مباشرة: «ترى في كل واحد من البيتين صنعةً وتصويرًا»، وهذا يدل على أن مفهوم التصور عنده أوسع وأشمل من التصوير البياني المعروف. لقد كان يقصد بالتصوير الأسلوب والنظم وكيفية تخلق المعاني في صورة كلامية خاصة فيها صنعة سواء دخل فيها التشبيه والاستعارة والكنائية أم لم يدخل، ولكنه على كل حال كانت له عناية خاصة بهذه الألوان البيانية؛ لأنها عنده الأقطاب التي تدور حولها المعاني. [راجع: أسرار البلاغة].

(٢) هو قطري بن الفجاءة الشاعر المعروف.

(٣) هذه الأبيات حافلة بضروب النظم والتصوير الدالة على قوة الباعث وصدق التجربة ابتداءً بالاستفهام الدال على استبعاد أن يقاتل الحجاج بيد تعترف بفضله وعفوه، وكأن يده تلك تبرأ منه لو قاتل، والاستفهام في البيت الثاني الدال على التحير والتوقف، وانظر كيف كبرت عنده صنائع الحجاج وفعالاته حتى صار لها لسان تحتج، وكيف صارت تلك الصنائع نخلات مغروسة في نفسه بجذور يصعب اقتلاعها، وحفظت نخلاته: صارت مرة، وهو تمثيل لنكران الصنائع الذي لا يكون من شيم الرجال.

(٤) أسربل: أليس، وهجر القول: قبيحه، والمعنى على الاستفهام الإنكاري إذ ينكر على نفسه أن يهجو من أسدى إليه معروفًا؛ لأنه لو هجاه لكان أول اللاتمين العائدين عليه بالذم هي نفسه التي استرقها ذلك المعروف، فهذا البيت يوجز فحوى ما جاء عند الخارجي في ثلاثة أبيات، ويتميز بالتصوير الدقيق؛ إذ جعل هجر القول وقبيحه كاللباس القذر الذي يلبسه من يهجو، وقد تشخص المعروف ليدافع =

وقول النابغة:

إذا ما غزا بالجيش حَلَّقَ فوقه  
عصائبٌ طير تهتدي بعصائب<sup>(١)</sup>  
جوانحٌ قد أيقنَ أن قبيله  
إذا ما التقى الصفان أوَّلَ غالبٍ

مع قول أبي نواس:

تَتَأَيُّ الطَيْرُ غَدَوَتَهُ  
ثِقَةً بِالشُّبُعِ مِنْ جَزَرِهِ<sup>(٢)</sup>

وحكى المرزباني قال: «حدثني عمرو الوراق قال: رأيت أبا نواس ينشد قصيدته التي أولها»:

أَيُّهَا الْمُتَّابُ عَنْ عُمْرِهِ<sup>(٣)</sup>

فحسدته، فلما بلغ إلى قوله:

تَتَأَيُّ الطَيْرُ غَدَوَتَهُ  
ثِقَةً بِالشُّبُعِ مِنْ جَزَرِهِ

قلت له: ما تركت للنابغة شيئاً؛ حيث يقول: «إذا ما غدا بالجيش...» البيتين، فقال «اسكت، فلئن كان سبق فما أسأت الاتباع»<sup>(٤)</sup>.

= عن صاحبه ويهجو جاحده، وكل هذا على سبيل الاستعارة المكنية.

واللافت أن التفاوت في أداء المعنى بين الإيجاز والإطناب لم يكن من مقاييس الشيخ في الحكم بدليل أن معنى أبي تمام في بيت واحد مأخوذ من ثلاثة أبيات للخارجي، ومع هذا لم يحكم عبد القاهر لأبي تمام بسبب إيجازه، ولكن جعل لكل من هذا وذلك صنعةً وتصويراً وأستاذيةً كما سبق في تقديمه لكل هذه النماذج.

(١) فتن الشعراء بمعنى النابغة، فأخذوه في صور شتى، وأعجب به النقاد لما فيه من دقة النظم والتصوير، فالظرفية الدالة على الملازمة في «حلق فوقه» تشير إلى يقين الطير بغريزتها من ظفرها بحاجتها من جثث الأعداء، وذلك يعني تكرار نصر الممدوح، وهذه الإشارة تنسجم مع صريح البيت الثاني ناهيك عن الصورة التي يرسمها في الخيال قوله: «عصائب طير تهتدي بعصائب» إنها جماعات طير يتبع بعضها بعضاً ويهتدي بعضها ببعض، وقد انتشرت في الآفاق تغطي الجيش الغازي الذي اتسعت رقعته.

(٢) يركز أبو نواس على المعنى النفسي عند الطير والذي رسخ عنده من العادة المتكررة، فإنها تتحرى وترتقب خروجه مبكراً ثقة بالشبع من جثث أعدائه، وهذا كناية عن ظفره، وكأنه قال: ثقة بانتصاره.

(٣) في هامش المخطوطة بخط كاتبها ما نصه: «يقال: لقيته عن عفر: أي بعد شهر ونحوه» تعليق: محمود شاكر ٥٠٣.

(٤) تعني هذه الجملة اعتراف أبي نواس بسبق النابغة، وأن أبا نواس قد تصرف في المعنى الذي أخذه تصرفاً يبعده عن سوء الاتباع، وقد كان سوء الاتباع عندهم يعني أخذ معنى السابق بلفظه وصورته دون تصرف.

وهذا الكلام من أبي نواس دليل بيّن في أن المعنى ينتقل من صورة إلى صورة، ذلك لأنه لو كان لا يكون قد صنع بالمعنى شيئاً لكان قوله: «فما أسأت الاتباع» محالاً<sup>(١)</sup>؛ لأنه على كل حال لم يتبعه في اللفظ، ثم إن الأمر ظاهر لمن نظر في أنه قد نقل المعنى عن صورته التي هو عليها في شعر النابغة إلى صورة أخرى، وذلك أن ها هنا معنيين:

أحدهما أصل وهو: علم الطير بأن الممدوح إذا غزا عدواً كان الظفر له، وكان هو الغالب.

والآخر فرع وهو: طمع الطير في أن تتسع عليها المطاعم من لحوم القتلى.

وقد عمد النابغة إلى الأصل الذي هو علم الطير بأن الممدوح يكون الغالب، فذكره صريحاً، وكشف عن وجهه، واعتمد في الفرع الذي هو طمعها في لحوم القتلى، وأنها لذلك تحلق فوقه على دلالة الفحوى.

وعكس أبو نواس القصة، فذكر الفرع الذي هو طمعها في لحوم القتلى صريحاً، فقال كما ترى:

### ثقة بالشعب من جزره

وعول في الأصل الذي هو علمها بأن الظفر يكون للممدوح على الفحوى، ودلالة الفحوى على علمها أن الظفر يكون للممدوح هي في أن قال: «من جزره»<sup>(٢)</sup>، وهي لا تثق بأن شعبها يكون من جزر الممدوح حتى تعلم أن الظفر يكون له.

أفيكون شيء أظهر من هذا في النقل عن صورة إلى صورة؟

\*\*\*

أرجع إلى النسق. ومن ذلك قول أبي العتاهية:

(١) يعني لو لم يكن قد تصرف في صورة المعنى وفي لفظه لما كان هناك معنى لقوله: «فما أسأت الاتباع»؛ لأن هذه الجملة تعني نفي أخذ لفظ السابق، وتثبت التصرف في معناه ونقله من لفظ إلى لفظ ومن صورة إلى صورة.

(٢) حاصل هذا أن المعنى الفرعي والأصلي عند أبي نواس يجتمعان في الشطر الثاني من بيته، فالمعنى الفرعي - وهو طمع الطير في لحوم القتلى صريح في قوله: «ثقة بالشعب من جزره»، والمعنى الأصلي وهو علم الطير بأن الظفر يكون للممدوح يفهم ضمناً من الإضافة له في «جزره».

شِيمٌ فَتَّحَتْ مِنَ الْمَدْحِ مَا قَدَّ  
 مع قول أبي تمام:

نَظَّمْتُ لَهُ حَرَزَ الْمَدِيحِ مَوَاهِبُ  
 وَقَوْلُ بَشَارِ:

الشَّيْبُ كُرْهُ وَكُرْهُ أَنْ يَفَارِقَنِي  
 مع قول البحرى:

تَعِيبُ الْغَانِيَاتِ عَلَيَّ شَيْبِي  
 وَقَوْلُ أَبِي تَمَامٍ:

يَشْتَاقُهُ مِنْ كَمَالِهِ عَدُوُّهُ  
 وَيُكْثِرُ الْوَجْدَ نَحْوَهُ الْأَمْسُ<sup>(٣)</sup>

(١) يدور البيتان حول خصال المدح الفذة، والتي حركت المعقود من الألسنة بالمديح، وقد اختلفت صورة المعنى عند الشاعرين، ولكل منها ما يميزه، فنظم أبي العتاهية يعكس استعظام تلك الخصال والشيم واللفت إليها بداية بتقديمها والبناء عليها، مع تخصيصها بما بني عليها من الحكم، أي أن تلك الشيم هي وحدها القادرة على فتح ما كان مستغلماً من معاني المدح عند الشعراء، وها هنا صورة لافتة تجسد معاني المدح وتجعلها أبية متمنعة حتى تفتح تلك الشيم العظيمة أبواب تلك المعاني لتنتقل. أما أبو تمام، فالحسن كله عنده في بالسطر الثاني الذي يبيِّن كيف نظمت تلك المواهب عقداً من خرز المديح، فذلك كان بالنفث المتجدد في عقد اللسان المفحم، والنفث في العُقْد كناية عن السحر، وهو منظور فيه إلى قوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ [الفرق: ٤]، والمقصود أن تلك المواهب تعمل عمل السحر في فك المعقود من اللسان لينطلق البيان، لكن ربما أخذ على أبي تمام أنه جعل عُقْد المديح الذي نظمته المواهب من خرز، فماذا يكون الخرز؟

(٢) يدور بيت بشار وبيت البحرى حول كراهية الشيب مع التعلق به، ولكل منها طريقته وخصوصيته، فبيت بشار يعكس المفارقة الشديدة في تلك التجربة الإنسانية التي يعيشها كل من أدركه الشيب، وهي التوزع النفسي بين كره المشيب مع الأُنس إليه وكراهية أن يفارقه بالموت، فاستمراره يعني استمرار الحياة، والتعجب في الشطر الثاني يبرز تلك المفارقة من اجتماع شعورين متضادين في قلب واحد وفي آن واحد.

والبحرئى يلبس المعنى ثوباً آخر، فلا يصرح بكُره المشيب، ولكن يذكر سبباً قوياً دالاً على ذلك، لكنه لما أخفى ذلك الكره وأثر الكناية عنه توارت تلك المفارقة التي كانت ظاهرة عند بشار، واكتفى البحرئى بإظهار الرضا بالمشيب، بل لقد تمنى -بواسطة الاستفهام- أن يتمتع بذلك المشيب، ولو كان عند الغانيات معيماً، وفيه رمز لتمني طول عمره.

(٣) هذا البيت يعني انفعال الزم من كمال خصال المدح حتى يعيش معه لحظة بلحظة، فيحزن الأمس، ويشتاق الغد إلى معايشة تلك الكمالات.

مع قول ابن الرومي:

إمامٌ يظُلُّ الأُمسُ يُعْمَلُ نحوه  
تَلَفَّتْ مَلْهَوفٍ وَيَشْتَاقُهُ الْغَدُ<sup>(١)</sup>

لا تنظر إلى أنه قال: «يشتاقه الغد»، فأعاد لفظ أبي تمام، ولكن انظر إلى قوله: «يُعمل نحوه تلفت ملهوف».

وقول أبي تمام:

لئن ذمَّتِ الأعداءُ سوءَ صباحها  
فليس يؤدِّي شكرها الذئبُ والنسر<sup>(٢)</sup>

مع قول المتنبي:

وَأَنْبَتَتْ مِنْهُمْ رِيحَ السَّبَاعِ  
فَأَنْتَتْ بِإِحْسَانِكَ الشَّامِلِ<sup>(٣)</sup>

وقول أبي تمام:

وَرُبَّ نَائِي الْمَغَانِي رُوْحُهُ أَبَدًا  
لصيقُ رُوحِي ودانٍ ليس بالَدَّانِي<sup>(٤)</sup>

مع قول المتنبي:

لنا ولأهلِهِ أَبَدًا قلوبُ  
تَلَاقَى فِي جُجُومٍ مَا تَلَاقَى<sup>(٥)</sup>

(١) إذا كان الشاعران «أبو تمام وابن الرومي» قد شخضا الزمان وجعلاه يفعل بكمال المدوح وتفوقه على أقرانه «إمام» وجعلاه يحزن ويشتاق، فإن البعد النفسي أكثر ظهوراً وتألقاً عند ابن الرومي في «تلفت الملهوف»، وهذا ما استوقف عبد القاهر ونبه في لفظة سريعة إلى أن لا تنظر إلى إعادة بعض اللفظ فنعيبه، ولكن نظر إلى تجديد الصورة بهذا البعد النفس في تلفت الملهوف، وهذه من الوقفات النقدية المضيئة للإمام.

(٢) الشطر الأول كناية عما لحق بالأعداء من شرِّ باكر، ومعنى البيت: لئن ذمت الأعداء سوء صباحها، فقد أحسنت للذئب والنسر إحساناً لا يؤدي شكره من كثرة قتلاهم.

(٣) يعني: بقتلك الأعداء قدمت للسباع معروفاً عاشوا به أمتع وأخصب أيامهم، وكأنك أنبت منهم للسباع ربيع حياتهم حتى لهجت ألسنتهم ثناءً بذلك الإحسان.

وفي هذين البيتين معنيان: الأول ظفر المدوح بالأعداء وقتلهم، والثاني: ظفر السباع بجثثهم، وقد دلَّ أبو تمام على هذين المعنيين بالإشارة؛ إذ كنى عن الأول بدم الأعداء سوء صباحها، وكنى عن الثاني بعجز الوحوش عن أداء شكرها، وجاء المتنبي فأحسن تقديم المعنيين في تلك الصورة التمثيلية التي تجعل قتل الأعداء حياة خصبة للسباع، وكأن المدوح أنبت من هؤلاء الأعداء ربيعاً للسباع، ولئن جعل أبو تمام السباع عاجزة عن الشكر، فقد انطقها المتنبي بالثناء.

(٤) يعني أبو تمام: رب بعيد عن العين قريب إلى النفس، فالروحان متمزجان، ورب قريب من العين بعيد من القلب «ودان ليس بالداني»، وهذه مفارقة تعتمد المقابلة أسلوباً لافتاً.

(٥) رغم تخليص المتنبي معناه من تلك المفارقة التي وجدناها عند أبي تمام، فإنه قد طور في تلاقي القلوب =

وقول علي بن جبلة:

وأرى الليالي ما طوت من قوّتي

ردّته في عِظّتي وفي إفهامي

مع قول ابن المعتز:

وما يُتَّقَصُّ من شباب الرّجال

يَزِدُّ في نُهاها وألبابها<sup>(١)</sup>

وقول بكر بن النطاح:

ولو لم يكن في كفه غير روحه

لجأدها فليتيق الله سائله

مع قول المتنبي:

إنك من معشرٍ إذا وهبوا

ما دون أعمارهم فقد بخلوا<sup>(٢)</sup>

وقول البحرري:

ومن ذا يلوم البحر إن بات زاخرًا

يفيضُ وصبوب المزن إن راح يهطلُ؟

مع قول المتنبي:

وما ثنأك كلام الناس عن كرم

ومَن يُسُدُّ طريقَ العارضِ الهطلِ<sup>(٣)</sup>؟

القلد = وب =

حتى تنتقل من جسم إلى جسم لتتلاقى مرارًا وتكرارًا كلما تاققت واشتاققت، ومع أن ملاصقة الروح عند أبي تمام أكثر مبالغة، فإن صورة المتنبي أكثر تألقًا بالحركة النفسية البادية في التلاقي المتجدد والذي يدل عليه الفعل المضارع مكرّرًا ومن أجله فخم هذا التلاقي في كيفه وكمه في قوله: «ما تَلَّاقِي».

(١) يعني البيت أن ما ينقص من القوة والشباب يكون زيادة في العقل والتجربة، وفي ذلك تسرية وعزاء وإرضاء للنفس عند الكبر سوى أن ابن جبلة جعل هذا خاصًا به كما يبدو في إضافة القوة والعظة والإفهام إلى نفسه، وقد أسند ما ذهب من قوته إلى الليالي وهو إسناد ربما يشي بأسرار لم يقصد الشاعر إعلانها أو ذكرها من الأصل.

أما ابن المعتز، فقد جعلها تجربة إنسانية عامة متصلة بكل الرجال، وطوى فاعل الإنقاص في لباقة بعد بناء الفعل بناءً لا يظهر معه فاعله.

(٢) يعني أن هؤلاء المعشر لا يرضون إلا بأن يهبوا أعمارهم وأرواحهم، ورغم أن بيت ابن النطاح يشتمل على جملتين «خبرية وإنشائية»، والثانية مرتبة على الأولى، وفي الأمر ما فيه من الإشفاق على الممدوح، فإن الخبرية قبلها مبينة على الفرض المستبعد بدليل «لو»، على أنه حدد وجوده بالعطاء المعروف بين الناس، لكن المعنى عند المتنبي على التأكيد بـ«إن»، مع القطع بما يدعيه بواسطة «إذا» التي تأتي عند اليقين بوقوع الفعل أو تغليب وقوعه، ثم إن «وهبوا» أعم من «جأدها»؛ فالهبة تشمل الجود بالنفس وبالمال.

(٣) المعنى الذي يدور حوله البيت: أن لوم الناس لا يشي الممدوح عن العطاء الوفير، وقد صوره البحرري ابتداءً في صورتين متتاليتين مستفتحًا بالاستفهام الذي ينكر فيه على من يلوم الممدوح، وقد صار =

## [ انتقال المعنى من صورة إلى صورة ]

فانظر الآن نَظَرَ من نفى الغفلة عن نفسه، فإنك ترى عياناً أن للمعنى في كل واحد من البيتين من جميع ذلك صورةً وصفةً غير صورته وصفته في البيت الآخر<sup>(١)</sup>، وأن العلماء لم يريدوا حيث قالوا: «إن المعنى في هذا هو المعنى في ذاك» أن الذي يعقل من هذا لا يخالف الذي يعقل من ذاك، وأن المعنى عائد عليك في البيت الثاني على هيئته وصفته التي كان عليها في البيت الأول، وأن لا فرق ولا فصل ولا تباين بوجه من الوجوه، وأن حكم البيتين مثلاً حكم الاسمين قد وضعاً في اللغة لشيء واحد، كالليث والأسد، ولكن قالوا<sup>(٢)</sup> ذلك على حسب ما يقوله العقلاء في الشيين يجمعهما جنس واحد، ثم يفترقان بخواص ومزايا وصفات كالحاتم والخاتم، والشنف والشنف، والسوار والسوار، وسائر أصناف الحلي التي يجمعها جنس واحد، ثم يكون بينهما الاختلاف الشديد في الصنعة والعمل<sup>(٣)</sup>.

ومن هذا الذي ينظر إلى بيت الخارجي وبيت أبي تمام، فلا يعلم أن صورة المعنى في ذلك غير صورته في هذا؟ كيف والخارجي يقول: «واحتجَّت له فعلاَّتُه»، ويقول أبو تمام: «إذن لهجاني عنه معروفه عندي»، ومتى كان «احتج» و«هجا» واحداً في المعنى<sup>(٤)</sup>؟

= بحرًا زاخرًا تارةً وسحابًا يهطل تارةً أخرى.

أما المتنبي، فقد عرض المعنى مباشرة ثم احتج له بالتمثيل في عقبه، ودلَّ فيها على أن خطاب الناس للممدوح قد تجاوز اللوم إلى محاولة الإثناء والصف، ويبدو أن تلك المحاولة كانت قوية، لكن إصرار الممدوح أزاحها من طريقه، والتمثيل يجسد هذا المعنى بدقة بالغة؛ إذ مثل له بصورة من يسد طريق الغيث المنذف، لكن الغيث يزيح من طريقه كل شيء، ولو كان سدًا، ولا تخلو صياغة التمثيل وتصديره بالاستفهام من دلالة على الإزراء والسخرية من تلك المحاولة الفاشلة.

(١) تتلخص في هذه العبارة غاية عبد القاهر من الشواهد السابقة، وهو تعني أن الأخذ قد انتقل بالمعنى من صورة إلى صورة أخرى، وأن في كل صورة ميزة وخصوصية تسحب على المعنى، فأصل المعنى وإن كان واحدًا، فإنه بالانتقال من صورة إلى صورة أخرى لم يعد هو هو هذا، وفيما ذُكر من الشواهد غني عما لم يذكر وهي قلة لا حظت فيه هناتٌ فنية فأعرضت عنها، على أن أعيد تسجيلها في طبعة تالية مشفوعة برؤيتي فيها وملاحظاتي عليها. بمشيئة الله تعالى «الشارح».

(٢) هذا الاستدراك معطوف على قوله قبل: «وأن العلماء لم يريدوا».

(٣) حاصل هذا أن العلماء حين قالوا: «إن المعنى في هذا البيت هو المعنى في ذاك» لم يقصدوا نفى الفروق بينهما تمامًا، ولكن قصدوا أن البيتين يلتقيان في أصل عام، ثم يفترقان بخواص ومزايا لكل منهما ترجع إلى صنعة كل شاعر وطريقته في تصوير المعنى.

(٤) هذا قاطع الدلالة على أن قولهم: «المعنى في هذا البيت هو المعنى في ذاك» قصدوا به أصل المعنى أو =

وكذلك الحكم في جميع ما ذكرناه، فليس يتصور في نفس عاقل أن يكون قول البحري:  
وأحبُّ آفاقِ البلادِ إلى الفتى أرضٌ ينال بها كريمَ المطلبِ  
وقول المتنبي:

وكلُّ مكانٍ يُنبِت العزَّ طيبٌ

سواءً<sup>(١)</sup>.

### [ مفهوم الصورة ]

واعلم أن قولنا «الصورة» إنما هو تمثيل وقياس لما نعمله بقولنا على الذي نراه بأبصارنا<sup>(٢)</sup>، فلما رأينا البيئونة بين آحاد الأجناس تكون من جهة الصورة، فكان تبين إنسان من إنسان وفرس من فرس بخصوصية تكون في صورة هذا لا تكون في صورة ذاك، وكذلك كان الأمر في المصنوعات، فكان تبين خاتم من خاتم وسوار من سوار بذلك<sup>(٣)</sup>، ثم وجدنا<sup>(٤)</sup> بين المعنى في أحد البيتين وبينه في الآخر بيئونة في عقولنا وفرقاً، عبّرنا عن ذلك الفرق وتلك البيئونة بأن قلنا: «للمعنى في هذا صورة غير صورته في ذلك»، وليس العبارة عن ذلك الصورة شيئاً نحن ابتدأناه فينكره منكر، بل هو مستعمل مشهور في كلام العلماء، ويكفيك قول الجاحظ: «وإنما الشعر صياغة وضرب من التصوير»<sup>(٥)</sup>.

- = المعنى العام والغرض، ولم يقصدوا المعنى الشعري الذي تجدد بالتجديد في الصورة وبينهما ارتباط وتلبس، ولذلك جعلها الشيخ شيئاً واحداً هو «صورة المعنى».
- (١) أي: لا يعقل أن يكون معنى البحري ومعنى المتنبي سواء، لكن لما انتقل المعنى من صورة إلى صورة صار شيئاً مختلفاً لا تستقل به الصورة ولا يستقل به المعنى، وهذا ما يعنيه تسمية الشيخ بـ«صورة المعنى».
- (٢) وذلك كقياس العلم على النور، وقياس الجهل على الظلام، وإن شئت فقل: كتمثيل العلم بالنور وتمثيل الجهل بالظلام، ولكن تسمية الشيخ بـ«صورة المعنى» أوسع من ذلك؛ لأنها تعني النظم والأسلوب، ولو لم يكن فيه تمثيل أو تشخيص.
- (٣) «بذلك» أي: باختلاف الصورة، مع ملاحظة الفرق بين إنسان وإنسان وفرس وفرس بخصوصية في الصورة يكون له دلالة على فروق معنوية وخلقية، فقياس صورة الكلام عليه أدق من قياسه على الفرق بين خاتم وخاتم، وسوار وسوار؛ لأن تميز خاتم عن آخر بصورة خاصة لا يكون دلالة على فروق في الجواهر والمادة.
- (٤) معطوف على «فلما رأينا البيئونة...».
- (٥) يستدل عبد القاهر بعبارة الجاحظ على أن ما نجد من فروق معنوية بين بيت وبيت يرجع إلى =

**[دليل ثانٍ على أن المعنى ينتقل من صورة إلى صورة]**

واعلم أنه لو كان المعنى في أحد البيتين يكون على هيئته وصفته في البيت الآخر، وكان التالي من الشعارين يجيئك به معادًا على وجهه لم يحدث فيه شيئًا، ولم يغيّر له صفة لكان قول العلماء في شاعر: «إنه أخذ المعنى من صاحبه فأحسن وأجاد»، وفي آخر: «إنه أساء وقصر» لغواً من القول، من حيث كان محالاً أن يحسن أو يسيء في شيء لا يصنع به شيئاً<sup>(١)</sup>.

وكذلك كان يكون جعلهم البيت نظيراً للبيت ومناسباً له خطأ منهم؛ لأنه محال أن يناسب الشيء نفسه، وأن يكون نظيراً لنفسه<sup>(٢)</sup>.

**[دليل ثالث]<sup>(٣)</sup>**

وأمر ثالث، وهو أنهم يقولون في واحد: «إنه أخذ المعنى فظهر أخذه»، وفي آخر: «إنه أخذه فأخفى أخذه»، ولو كان المعنى يكون معادًا على صورته وهيئته، وكان الأخذ له من صاحبه لا يصنع شيئاً غير أن يبدل لفظاً مكان لفظ<sup>(٤)</sup> لكان الإخفاء فيه محالاً؛ لأن اللفظ لا

= اختلاف صورة المعنى من بيت إلى آخر أو لعله يستأنس بكلام الجاحظ فيما يذهب إليه من تطوير مفهوم التصوير ليصير مرادفًا للتشكيل والتأليف والطريقة في النظم.

(١) أي أن حكم العلماء على أخذ شاعر بالإجادة وعلى آخر بالتقصير دليل على أن المعنى ينتقل من صورة إلى صورة، وليس مجرد إعادة لنفس الصورة؛ لأنه لو كان الأخذ إعادة لنفس الصورة لما قالوا: فلان أخذ وأجاد، أو أخذ وقصر، بل قالوا: إنها سرقة مرفوضة.

(٢) هذا يؤكد على أن أخذ الشاعر من الشاعر ليس إعادة لصورة معناه وألفاظه، وهذا ظاهر في الدلالة على مذهب الشيخ الذي يرفض رفضاً قاطعاً أن يعيد شاعر ألفاظ غيره؛ لأنه يكون سرقة ظاهرة، وليس من الشعرية في شيء.

(٣) يستدل فيه على أن أخذ الشاعر من غيره ليس إعادة لصورته، ولكنه انتقال بالمعنى من صورة إلى صورة أخرى.

(٤) مثال ذلك أن يأتي شاعر إلى قول الخطيئة:

واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

دع المكارم لا ترحل لبغيتهما

فيقول على حذوه:

واجلس فإنك أنت الأكل اللابس

ذر المائر لا تذهب لمطلبهها

فإن كل ما فعله هو تبديل لفظ مكان لفظ، لكن الصورة هي هي، والأسلوب هو هو، وهذا لا إخفاء فيه؛ لأن اللفظ لا يخفي المعنى، وإنما كان يخفيه أن ينتقل بهذا المعنى من صورة إلى صورة أخرى، ومن أسلوب إلى أسلوب آخر.

وفي هذا السياق يتبين قصد عبد القاهر من الصورة في مجال التطبيق على أخذ الشعراء بعضهم من =

لا يخفي المعنى، وإنما يخفيه إخراجها في صورة غير التي كان عليها.

### [ أمثلة على انتقال المعنى من صورة إلى صورة مع خفاء الأخذ ]

#### [ والخفاء بمقدار التصرف ]

مثال ذلك أن القاضي أبا الحسن ذكر فيما ذكر فيه «تناسب المعاني»، بيت أبي نواس:

حُلِّيتُ وَالْحُسْنَ تَأْخُذُهُ      تَنْتَقِي مِنْهُ وَتَنْتَخِبُ<sup>(١)</sup>

وبيت عبد الله بن مصعب:

كَأَنَّكَ جِئْتَ مُحْتَكِمًا عَلَيْهِمْ      تَخَيَّرَ فِي الْأَبْوَةِ مَا تَشَاءُ<sup>(٢)</sup>

وذكر أنها معاً من بيت بشار:

حُلِّقْتُ عَلَى مَا فِي غَيْرِ مُحَيَّرٍ      هَوَايَ، وَلَوْ حُيِّرْتُ كُنْتُ الْمَهْدَبَا<sup>(٣)</sup>

والأمر في تناسب هذه الثلاثة ظاهر، ثم إنه تناوله فأخفاه وقال:

فَلَوْ صَوَّرْتَ نَفْسَكَ لَمْ تَزِدْهَا      عَلَى مَا فِيكَ مِنْ كَرَمِ الطَّبَاعِ<sup>(٤)</sup>

ومما هو في غاية الندرة من هذا الباب ما صنعه الجاحظ بقول نُصِيبُ:

= بعض، فقد قصد بها هنا الأسلوب وطريقة النظم، وأن المعنى يتقل عند الأخذ من صورة إلى صورة ومن هيئة إلى هيئة، ومن أسلوب إلى أسلوب.

(١) يصف محبوبته بأنها قد أخذت من كل حسن بطريق، وكأنها قد خيرت لتنتقي ما تشاء من أوصاف الجمال حتى بلغت فيه ذروته وغايته.

(٢) يصف ممدوحه بالرحمة والشفقة والتسامح مع رعيته، وكأنه يتخير لنفسه معهم من خصال الأبوة ما يشاء، وجهة التناسب بينه وبين بيت أبي نواس هي الحرية المطلقة في تخير ما يبلغ بالصفات الحسنة ذروة الكمال مع اختلاف المعنى والصياغة ولذلك كان من الأخذ الخفي.

(٣) إذا كان معنى أبي نواس ومعنى مصعب يدوران حول حرية الاختيار مهما كان مجاله، فإن بيت بشار ينفي عن نفسه تلك الحرية، ويعتذر عن أهوائه الجاحمة بأنها ليست باختياره، وأنه لو خير لاختار أن يكون مهذباً ولاشك أنها مغالطة وتبرير لجموح الهوى.

ويتبين من هذا الشاهد أن خفاء الأخذ من مظاهره التحول بفحوى المعنى من غرض إلى غرض ومن صورة إلى صورة أخرى وأسلوب آخر.

(٤) هذا من أحسنهم وأخفاهم أخذاً؛ لأنه جعل الممدوح مجبولاً على أفضل ما يكون من كرم الطباع، فلو خير لنفسه ما يشاء من الخصال لم يزد لها شيئاً ولا يفطن للأخذ فيه إلا خبير بحركة التطوير في المعاني وصورها.

ولو سكتوا أثنت عليك الحقائق<sup>(١)</sup>

حين نشره فقال، وكتب به إلى ابن الزيات: «نحن أعزك الله نسحر بالبيان، ونموه بالقول، والناس ينظرون إلى الحال، ويقضون بالعيان، فأثّر في أمرنا أثراً<sup>(٢)</sup> ينطق إذا سكتنا، فإن المدعي بغير بيّنة متعرّض للتكذيب».

[أبيات للشعراء في وصف الشعر وهي دالة على أن حسنها لا يعود إلى جرس حروفها]<sup>(٣)</sup>

وهذه جملة من وصفهم الشعر وعمّله، وإدلالهم به:

أبو حية النميري:

إن القصائد قد علمنَ بأني  
وإذا ابتدأت عروض نسج رِيضٍ  
صنَع اللسان بهنَّ لا أتَنَحَّلُ  
جعلتْ تذلُّ لما أريد وتُسهِّلُ  
حتى تطاوعني، ولو يرتاضها  
غيري لحاول صعبة لا تقبل<sup>(٤)</sup>

عدي بن الرِّقاع:

وقصيدة قد بتَّ أجمع بينها  
نظر المثقف في كُعب قناته  
حتى أقوم مِيلها وسنادها  
حتى يُقيم ثقافته مُنادها<sup>(٥)</sup>

بشار:

(١) ورد في «المصباح»: «الحقائب جمع حقيبة، وهي عجيذة المرأة، ثم سمي ما يحمل من القماش على الفرس خلف الراكب حقيبة مجازاً؛ لأنه محمول على العجز»، والمقصود: لو سكتوا عن فضلك جحوداً أو نسياناً لأثنت عليك عطايك لهم.

(٢) أي: افعل لنا شيئاً يترك أثراً لا ينسى حتى كأنه ينطق بالشثناء عليك إذا سكتنا، وهذا هو المعنى الذي أخذه الجاحظ من شعر نصيب، لكن الصورة مختلفة.

(٣) هذا العنوان مفهوم من تعقيب عبد القاهر على تلك الأبيات، وكان يهدف إلى قياس الإعجاز عليه من باب أولى، وأنه لا يعود إلى مذاقة الحروف وخفة النطق بها، ولكن يعود إلى نظم المعاني.

(٤) «لا أتَنَحَّلُ» أي: لا أُغَيِّرُ على شعر غيري، فأدعيه لنفسي، و«العروض»: الناقبة الصعبة التي لم تذلل، و«الريض»: من الدواب التي لم تذلل لراكبها بعد إذ كانت في أول الترويض، و«تذل»: تلين وتسهل بعد صعوبة، وهذه صورة مستعارة تدل على ما يكابده الشاعر في صناعة الشعر وفي تطويع المعاني النافرة، وجملة الشرط «ولو يرتادها...» إدلال بقدرته على ما لا يقدر غيره عليه وهذه المكيدة والترويض لا يكون إلا الصور المعاني.

(٥) المثقف: الذي يقيم اعوجاج الرماح، والثقاف: آلة تسوى بها الرماح، والمناد: المعوج.

فَجِئْتُ عَجِيبَ الظَّنِّ للعلمِ مَوْتِلا  
لِقَلْبٍ إِذَا مَا ضَيَّعَ النَّاسُ حَصَلًا<sup>(١)</sup>  
بِقَوْلٍ إِذَا مَا أَحْزَنَ الشَّعْرُ أَسهَلًا

عَمِيتُ جَنِينًا وَالذِّكَاءُ مِنَ العَمَى  
وِغَاصِ ضِيَاءِ العَيْنِ للعلمِ رَافِدًا  
وَشَعْرٍ كَنُورِ الرُّوضِ لاءَمْتُ بَيْنَهُ  
وَلَهُ:

يَعْرِفُ مِنَ شعْرِهِ وَمِنْ حُطْبِهِ  
مَنْ لَوْلَوْ لَا يَنَامُ عَنِ طَلْبِهِ<sup>(٢)</sup>  
يَخْرُجُ ضَوْءُ السَّرَاجِ مِنْ هَلْبِهِ

رَوُّرُ مَلُوكٍ عَلَيْهِ أَهْمَةٌ  
لِللَّهِ مَارَاحٍ فِي جَوَانِحِهِ  
يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ لِلنَّديِّ كَمَا  
تَمِيمُ بْنُ مَقْبَلٍ:

لَهَا قَائِلًا بَعْدِي أَطَبُّ وَأشْعَرَا  
حُزُونِ جِبَالِ الشَّعْرِ حَتَّى تَيْسَّرَا  
كَمَا تَمَسَحُ الأَيْدِي الأَغْرَ المَشْهَرَا<sup>(٣)</sup>

إِذَا مِتُّ عَنِ ذِكْرِ القَوَافِي فَلَنْ تَرَى  
وَأَكْثَرَ بَيْتًا سَائِرًا ضَرِبْتُ لَهُ  
أَغْرًا غَرِيبًا يَمَسَحُ النَّاسُ وَجْهَهُ  
وَلِأَبِي تَمَامٍ:

تَمَهَّلْ فِي رَوْضِ المَعَانِي العَجَائِبِ  
مِنَ المَجْدِ فَهِيَ الآنَ غَيْرُ غَرَائِبِ  
حِيَاضُكَ مِنْهُ فِي السِّنِّينِ الذَّوَاهِبِ  
سَحَابُ مِنْهُ أَعْقَبَتْ بِسَحَابِ<sup>(٤)</sup>

إِلَيْكَ أَرَحْنَا عَازِبَ الشَّعْرِ بَعْدَمَا  
غَرَائِبُ لَاقَتْ فِي فَنَائِكَ أَنْسَهَا  
وَلَوْ كَانَ يَقْنِي الشَّعْرُ أَفْنَاهُ مَا قَرَّتْ  
وَلَكِنَّهُ صَوَّبُ العَقُولِ إِذَا انْجَلَّتْ

(١) الخصوصية في أن جعل نور العين قد غاص إلى قلبه ليزيد في فهمه وعلمه بالشعر، وفي جعل الشرع لوحة من الأزهار البديعة والمتلائمة.

(٢) الخصوصية في أن جعل الشعر لؤلؤًا مستقرًا في جوانحه لا ينام عن طلبه والغوص في أعماق نفسه لاستخراجه وإعداده بالصنعة حتى إذا زار الملوك فاض كأنه يغرف من بحر، والبيت الأخير يصور ولادة ذلك الشعر الذي يفيض بالحياة والتوهج بعد حرارة التجربة الشعرية، فيشبه ذلك بخروج ضوء السراج من ناره الملتهبة، وهذه الصورة الفريدة نموذج حي لمعانة النفس حتى تخرج هذا الإبداع المتألق.

(٣) الأغر المشهر: الفرس الذي جاء سابقًا، فمسح الناس وجهه حبًا وإكرامًا له، وقد شبه به البيت السائر الشارد الذي ضربت له حزون جبال الشعر حتى تيسر، وهنا تكمن الخصوصية في هذه الصورة البكر الممتدة لمعاني الشعر الأبية التي يكذب في استخراجها من أعماق نفسه حتى تولد مكتملة شاردة ليس لها منافس.

(٤) «عازب الشعر» مستعار من عازب الإبل التي خرج بها راعيها بعيدًا عن الحي يتحرى مواضع الكلاء، =

وللبحثري:

أيذهبُ هذا الدهرُ لم يُرِ موضعي      ويكسُدُ مثلي وهو تاجرٌ سُودِدِ  
ولم يَدْرِ ما مقدارُ حَلِّي ولا عَقْدِي      سواثرُ شعرٍ جامعٍ بَدَدَ العُلَى  
يبعُ ثميناتِ المكارمِ والمجدِ      يُقدِّرُ فيها صانعٌ مُتَعَمِّلٌ  
تعلّقن من قبلي وأتعبن من بعدي      لإحكامها تقدير داود في السرد<sup>(١)</sup>

### [ غرض الشيخ من ذكر تلك الأبيات ]

الغرض من كتب هذه الأبيات الاستظهار<sup>(٢)</sup> حتى إن حمل حاملٌ نفسه على الغرر والتّقحُم على غير بصيرة، فزعم أن الأعجاز<sup>(٣)</sup> في مذاقة الحروف وفي سلامتها مما يثقل على

الك = وأراحها: ردها إلى مراحها بعد الغروب للمبيت، و«ما قرت حياضك» ما جمعه قراك وجودك إلى ساحتك من الشعر، والبيت الثاني استئناف مبين لمعنى الأول ومقرر لمضمونه، وهما يعينان: أن الشعر يخلق ما يخلق، ثم يستقر عندك أنسا بمجدك وجودك. والبيت الثالث شرط وجوابه والرابع تكميل، والمعنى فيها أن قرائح الشعراء لا تنضب، ولو كان يفني الشعر لأفناه ما جمعه جودك من قبل، ولكن الشعر غيث العقول الذي يدر دائماً طالما تجددت سحائبه وبواعثه، والخصوصية والروعة في هذين البيتين وما فيها من دلالة على استمرار الشعر بتجدد الفكر واستمرار التجارب الإنسانية، وفي الصورة إيحاء إلى أن الشعر غيث النفوس الطامثة.

(١) الحل والعقد: ما يعرف بحل المنظوم وعقد المتثور، وهو كناية عن براعة التصرف في معاني السابقين، ويبدو أن ذلك كان في بداية عهد البحثري بالشعر، و«جامع بدد العلى» أي: جامع ما تفرق من معاني الأمور، ومفتاح هذا الشعر في استفهام البيت الأول الذي يستمر في البيت الثاني، ويعكس التعجب الممزوج بالمرارة والثورة على نقاد عصره الذين لم يكونوا قد احتفلوا بشعره بعد، والأبيات يأخذ بعضها برقاب بعض من الاستفهام إلى الاستئناف، والخصوصية في البيت الأخير الذي يلفت إلى ما يبذله في شعره من جهد ونظر لإتقان صنعته، كما كان يفعل داود عليه السلام في صنع الدروع، وهو مقتبس من معنى قوله تعالى: ﴿أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرُ فِي السَّرْدِ﴾ [سبأ: ١١].

وقد عدّ النقاد البحثري من شعراء الطبع رغم ما صرّح هو به، وهذا دليل على أن الطبع لا ينافي الصنعة، وأنها يلتقيان حتماً في نفس كل شاعر، فالطبع يدفع ويلهم والصنعة تصقل وتتقن، ولا مجال لإذن لتقسيم الشعراء إلى شعراء طبع وشعراء صنعة، لكن ربما يغلب طبع شاعر على صنعته أو تغلب صنعة شاعر على طبعه.

(٢) الاستظهار: الاستدلال بالدليل الظاهر الذي لا خفاء فيه، والغرر: الخطر، والتّقحُم: مصدر تقحّم، ومثله اقتحّم عقبة أو هدة: رمي نفسه فيها، وأصله من القحمة بالضم، وهي الأمر الشاق لا يكاد يركبه أحد.

(٣) المقصود بالإعجاز: إعجاز القرآن، ويقصد أن يجعل الشعر دليلاً على الإعجاز من جهة أن الشعر لا

اللسان علم بالنظر فيها فساد ظنّه وقبح غلظه من حيث يرى عياناً أن ليس كلامهم كلام من خطر ذلك منه ببال، ولا صفاتهم صفات تصلح له حال؛ إذ لا يخفى على عاقل أن لم يكن ضرب «تميم» لحزون جبال الشعر، لأن تسلم ألفاظه من حروف تثقل على اللسان، ولا كان تقويم «عدي» لشعره وتشبيهه نظره فيه بنظر المثقف في كعوب قناته لذلك<sup>(١)</sup>، وأنه محال أن يكون له جعل «بشار» نور العين قد غاص فصار إلى قلبه، وأن يكون اللؤلؤ الذي كان لا ينال عن طلبه، وأن ليس هو صوب العقول الذي إذا انجلت سحائب منه أعقت بسحائب، وأن ليس هو الدر والمرجان مؤلفاً بالشذر في العقد، ولا الذي له كان «البحثري» مقدرًا «تقدير داود في السرد» كيف؟ وهذه كلها عبارات عما يدرك بالعقل ويستنبط بالفكر، وليس الفكر الطريق إلى تمييز ما يثقل على اللسان مما لا يثقل، إنما الطريق إلى ذلك الحس<sup>(٢)</sup>.

ثم إنه اتفاق من العقلاء أن الوصف الذي به تناهى القرآن إلى حدّ عجز عنه المخلوقون هو الفصاحة والبلاغة، وما رأينا عاقلاً جعل القرآن فصيحاً أو بليغاً بأن لا يكون في حروفه ما يثقل على اللسان؛ لأنه لو كان يصح ذلك لكان يجب أن يكون السوقي الساقط من الكلام، والسفساف الرديء من الشعر، فصيحاً إذا خفّت حروفه<sup>(٣)</sup>.

### [ دليل أقوى على أن الإعجاز ليس لفظاً وخفة حروفه ]

ودع هذا، وهب أنه لا يلزم شيء منه<sup>(٤)</sup>، فإنه يكفي في الدلالة على سقوطه وقلة تمييز

يقصد فيه إلى مذاقة الحروف وخفتها وسهولتها، وإنما يقصد فيه إلى دقة صنعة المعاني ونظمها = وتصويرها وهكذا القرآن، ووجه دلالة ما في الشعر على ما في القرآن: أن القرآن معجز متفرد في نظمه وأسلوبه بالقياس إلى نظم الشعر وأسلوبه، فإذا كان الشعر لا يقصد فيه إلى مذاقة الحروف وخفتها، فالقرآن كذلك من باب أولى؛ لأن القرآن يكون معجزاً ومتفرداً أو متفوقاً على الشعر في الجهة التي يبرع فيها الشعر، ويعتد الشعراء بها وهي صياغة المعاني ودقة الصنعة في تأليفها.

(١) أي: لم يبذل ما بذله من دقة في الصنعة من أجل أن تسلم ألفاظه من حروف تثقل على اللسان.  
(٢) أي أن تمييز الحروف الخفيفة من الثقيلة مما لا يبذل الشعراء فيه جهداً، ولا يعملون فيه فكراً؛ لأنه شيء يعتمد على الحس اللغوي والطبع الشعري، أما ما يبذلون فيه جهداً ويعملون فيه فكراً - كما يبدو من الأبيات السابقة - فهو صياغة المعاني وإتقان نظمها في صنعة دقيقة.  
(٣) هذا وجه آخر من وجوه الاستدلال بالشعر على الإعجاز، ونفي أن يكون الإعجاز بخفة الحروف؛ إذ لو صح ذلك لكان الرديء من الشعر فصيحاً لمجرد خفة حروفه.

(٤) هذا لا يعني إلغاء ما سبق من أدلة على بطلان الزعم بأن الإعجاز يعود للفظ وخفة حروفه، ولكنه من باب الإعداد والاحتشاد لدليل أهم في دحض ذلك الزعم، وحاصله: أن القول به يصطدم مع حقيقة ناصعة هي اعتماد القرآن على

القائل به، أنه يقتضي إسقاط الكناية والاستعارة والتمثيل والمجاز والإيجاز جملة، وأطراح جميعها رأساً، مع أنها الأقطاب التي تدور البلاغة عليها، والأعضاء التي تستند الفصاحة إليها، والطلبة التي يتنازعها المحسنون، والرهان الذي تجرّب فيه الجياد، والنضال الذي تعرف به الأيدي الشداد<sup>(١)</sup>، وهي التي نوّه بذكرها البلغاء، ورفع من أقدارها العلماء، وصنّفوا فيها الكتب، ووكّلوا بها المهمم، وصرّفوا إليها الخواطر حتى صار الكلام فيها نوعاً من العلم مفرداً، وصناعة على حدة، ولم يتعاط أحد من الناس القول في الإعجاز إلا ذكرها وجعلها العمدة والأركان فيما يوجب الفضل والمزية، وخصوصاً الاستعارة والإيجاز، فإنك تراهم يجعلونها عنوان ما يذكرون وأول ما يوردون<sup>(٢)</sup>.

وتراهم يذكرون من الاستعارة قوله ﷺ: ﴿وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤]، وقوله: ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعَجَلَ﴾ [البقرة: ٩٣]، وقوله ﷺ: ﴿وَأَيَّةٌ هُمْ اللَّيْلُ نَسَلَخَ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ [يس: ٣٧]، وقوله ﷺ: ﴿فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤]، وقوله: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ [يوسف: ٨٠]، وقوله: ﴿حَتَّى نَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [محمد: ٤]، وقوله: ﴿فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾ [البقرة: ١٦] <sup>(٣)</sup>.

ضروب من البيان لا جدال في أنها أقطاب البلاغة، وهي من مقتضيات النظم الذي يرد الإعجاز إليه.

(١) الأعضاء: جمع عضد، وهو ما بين المرفق إلى الكتف، وبه يرمز للقوة، وقد استعير هنا للأقطاب التي تدور عليها البلاغة والأسس التي تعتمد عليها الفصاحة.

والطلبة: وزان كملة: ما تطلبه من غيرك مثل الطلب والطلاب، وجمعه: طلبات بكسر اللام، والرهان: مصدر رهن على كذا، وتراهن القوم إذا أخرج كل واحد رهناً؛ ليفوز السابق بالجميع إذا غلب [راجع: «المصباح»]، وكل هذه صور تمثيلية تلفت إلى قيمة هذه الألوان «الكناية والاستعارة والتمثيل والمجاز والإيجاز»، فكلها مجال يتنافس فيه الفصحاء.

(٢) أول من جعل لكل من الاستعارة والإيجاز عنواناً في الإعجاز هو الرماني - أبو الحسن علي بن عيسى - في رسالته «النكت» تراجع ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: سلام وخلف الله، والرماني نفسه هو الذي عدّ التلاؤم من أقسام تلك البلاغة المعجزة، وكان يقصد تلاؤم الحروف الذي يرفض عبد القاهر رد الإعجاز إليه، فكأنني بعبد القاهر يأخذ من الرماني شيئاً ويرد عليه شيئاً آخر من غير أن يذكر اسمه، وآخر جملة لعبد القاهر من هذه الفقرة تؤكد أنه الرماني، فالإيجاز أول ما أورده الرماني في رسالته، ثم إن شواهد الاستعارة التي ذكرها عبد القاهر في الفقرة التالية هي بعض ما ذكره الرماني من شواهد الاستعارة في رسالته، وتبعه في الاستشهاد بها أبو هلال وغيره.

(٣) هذه الشواهد سبق إليها الرماني وحدّد مواضع الاستعارة فيها، وكشف في براعة عن سر العدول عن الحقيقة إلى الاستعارة، وقد اكتفى عبد القاهر هنا بذكر الشواهد دون تعقيب أو بيان؛ لأنه لم يكن يصدد

ومن الإعجاز قوله تعالى: ﴿وَأِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ [الأنفال: ٥٨]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤]، وقوله: ﴿فَشَرَّدُوا مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٧]، وتراهم على لسان واحد<sup>(١)</sup> في أن المجاز والإعجاز من الأركان في أمر الإعجاز.

وإذا كان الأمر كذلك عند كافة العلماء الذين تكلموا في المزايا التي للقرآن، فينبغي أن ينظر في أمر الذي يُسَلِّم نفسه إلى الغرور، فيزعم أن الوصف الذي كان له القرآن معجزاً هو سلامة حروفه مما يثقل على اللسان، أضح له القول بذلك إلا من بعد أن يدعي الغلط على العقلاء قاطبة فيما قالوه، والخطأ فيما أجمعوا عليه<sup>(٢)</sup>؟ وإذا نظرنا وجدناه لا يصح له ذلك إلا بأن يقتحم هذه الجهالة، اللهم إلا أن يخرج إلى الضحكة، فيزعم مثلاً أن من الاستعارة والإعجاز إذا دخلا الكلام أن يحدث بهما في حروفه خفة، وتتجدد فيها سهولة، ونسأل الله العصمة والتوفيق.

### [رأي وسط ومهم في مدخل مذاقة الحروف في الإعجاز]

واعلم أنا لا نأبي أن تكون مذاقة الحروف وسلامتها مما يثقل على اللسان داخلاً فيما يوجب الفضيلة، وأن تكون مما يؤكد أمر الإعجاز، وإنما الذي ننكره ونُقِيل رأي من يذهب إليه<sup>(٣)</sup> أن يجعله معجزاً به وحده، ويجعله الأصل والعمدة، فيخرج إلى ما ذكرنا من الشناعات<sup>(٤)</sup>.

الحديث عن الاستعارة وبيانها، ولم يكن بصدد الحديث عن الإعجاز وضروبه، وإنما قصد أن = هذه الشواهد وردت عندهم وهم يبحثون في الإعجاز بما يدل على أنهم يعتدون بالاستعارة والإعجاز، وأنها عندهم من أركان الإعجاز، ولا يستطيع أحد أن يدعي أن المزية فيها تعود إلى خفة الحروف وتلاؤمها. (١) «على لسان واحد» أي: يتفقون تماماً، وكان يقصد العلماء الذين سبقوه إلى الحديث عن الإعجاز. (٢) من هنا نفهم وجه دلالة الاستعارة والتمثيل والكناية والإعجاز على أن الإعجاز لا يكون في خفة الحروف وسهولة الألفاظ، ذلك لأن من المتفق عليه أن القرآن معجز ببلاغته وفصاحته، ومن المتفق عليه أيضاً أن الاستعارة والكناية والتمثيل والإعجاز أقطاب تدور عليها البلاغة وتستند إليها الفصاحة، فيكون القرآن معجزاً بهذه الأقطاب، وهي لا تؤدي أبداً إلى خفة في الحروف وسهولة في الألفاظ، وبهذا يستحيل رد الإعجاز إلى تلك الخفة والسهولة، ويكون من قال بذلك من المعتزلة قد خالف إجماع العلماء في جعل الاستعارة والإعجاز ونحوها من أركان الإعجاز.

(٣) فيل رأيه: قبَّحه وخطَّاه لفساده.

(٤) لا أعرف أحداً من العلماء عد تلاؤم الحروف وحده سبباً في الإعجاز أو جعله العمدة في هذا الباب، ولكن لما عاد الشيخ إلى ذلك الرأي الوسط الذي لا ينكر مدخل مذاقة الحروف في تأكيد الإعجاز -

ثم إن العجب كل العجب ممن يجعل كل الفضيلة في شيء هو إذا انفرد لم يجب به فضل البتة، ولم يدخل في اعتداد بحال، وذلك أنه لا يخفى على عاقل أنه لا يكون بسهولة الألفاظ وسلامتها مما يثقل على اللسان اعتداد حتى يكون قد ألف منها كلام، ثم كان ذلك الكلام صحيحًا في نظمه والغرض الذي أريد به، وأنه لو عمد عامد إلى ألفاظ فجمعها من غير أن يراعي فيها معنى ويؤلف منها كلامًا لم تر عاقلاً يعتد السهولة فيها فضيلة؛ لأن الألفاظ لا تراد لأنفسها، وإنما تراد لتجعل أدلة على المعاني. فإذا عدت الذي له تراد، أو اختل أمرها فيه لم يعتد بالأوصاف التي تكون في أنفسها عليها، وكانت السهولة وغير السهولة فيها واحدًا<sup>(١)</sup>.

ومن ها هنا رأيت العلماء يذمون من يحمله تطلب السجع والتجنيس على أن يضيف لهما المعنى، ويدخل الخلل عليه من أجلهما، وعلى أن يتعسف في الاستعارة بسببهما، ويركب الوعورة، ويسلك المسالك المجهولة، كالذي صنع أبو تمام في قوله:

سيفُ الإمام الذي سَمَّتْهُ هَيْبَتُهُ      لما تحَرَّمَ أهل الأرض مُحَرَّمًا  
قَرَّتْ بِقُرَّانِ عَيْنِ الدِّينِ وانْشَرَّتْ      بالأشترين عيونُ الشُّركِ فاصطَلِمًا<sup>(٢)</sup>

وقوله:

ذهبتُ بمذهبه السَّاحةُ والتوتُ      فيه الظنونُ أمْذَهَبُ أمْ مُذْهَبُ<sup>(٣)</sup>

احتاط بإنكار ما يمكن أن يحدث من جعل ذلك هو الأصل في الإعجاز والعمدة فيه.

(١) إذا كانت الفقرة السابقة «اعلم أنا لا نأبي...» تتضمن اعترافاً بأن مذاقة الحروف يمكن أن تكون لها مدخل في تأكيد الإعجاز، فإن هذه الفقرة: «ثم إن العجب...» تتضمن شرطاً ضامناً لهذا الأمر، ويتلخص في ألا يعتد بمذاقة الحروف وسهولتها حتى تكون قد ألف منها كلام صحيح الغرض، بمعنى ألا تكون تلك السهولة والخفة غاية في ذاتها، وإنما تراد لتجعل أدلة على المعاني، فكل ميزة صوتية من أجل ميزة معنوية.

(٢) تحَرَّمَ: استأصل، وقرَّت: استقرت، وقران والأشترين: أسماء مواضع، واصطلمًا: قطع من أصله، وتكلف الجناس ظاهر في البيتين.

(٣) مُذْهَبُ: شيء ذهب بعقله «جنون»، والمعنى: أفرط في السَّاحة والجود حتى تحيرت فيه الظنون وتساءلت: أهذه خلقته وطريقته أم جنون؟! ومن الواضح أنه أساء اللفظ والمعنى معاً، وهذه ثمرة المبالغة في المدح.

ويصنعه المتكلفون في الأسجاع<sup>(١)</sup>، وذلك أنه لا يتصور أن يجب بهما ومن حيث هما فضلٌ، ويقع بهما مع الخلو من المعنى اعتداد، وإذا نظرت إلى تجنيس أبي تمام: «أمذهب أم مذهب» فاستضعفته، وإلى تجنيس القائل:

\* حتى نجا من خوفه وما نجا\*<sup>(٢)</sup>

وقول المحدث:

ناظره فيما جنى ناظره أو دَعاني أُمْتُ بما أودعاني<sup>(٣)</sup>

فاستحسنته، لم تشك بحالٍ أن ذلك لم يكن لأمر يرجع إلى اللفظ، ولكن لأنك رأيت الفائدة ضعفت في الأول وقويت في الثاني، وذلك أنك رأيت أبا تمام لم يزدك بمذهب ومُذْهَب على أن أسمعك حروفاً مكررة لا تجد لها فائدة إن وجدت إلا متكلفة متمحولة، ورأيت الآخر<sup>(٤)</sup> قد أعاد عليك اللفظة كأنه يجدهك عن الفائدة وقد أعطاها، ويوهمك أنه لم يزدك، وقد أحسن الزيادة ووفاهها<sup>(٥)</sup>، ولهذا النكتة كان التجنيس، وخصوصاً المستوفي منه، مثل «نجا» و«نجا»<sup>(٦)</sup> من حُلي الشعر، والقول فيما يحسن وفيما لا يحسن من التجنيس والسجع يطول، ولم يكن من غرضنا من ذكرهما شرح أمرهما، ولكن توكيد ما انتهى بنا القول إليه من استحالة أن يكون الإعجاز في مجرد السهولة وسلامة الألفاظ مما يثقل على اللسان.

وجملة الأمر، أنا ما رأينا في الدنيا عاقلاً أطرح النظم والمحاسن التي هو السبب<sup>(٧)</sup> فيها

(١) معطوف على «كالذي صنع أبو تمام»، ويقصد به ما يقع في الشعر والنثر من تكلف.

(٢) من قول أحد الرجاز يصف ما فعله سهمه حين رمى عيراً، و«نجا» الأولى من النجو وهو ما يخرج من البطن من الغائط، يريد أن هذا العير من خوفه أحدث ثم لم ينجح. [راجع: تعليق محمود شاكر، ٥٢٣].

(٣) ناظره أي: سلا ذلك المحبوب وناقشاه فيما فعلت عيناه الساحرتان بي، يُعْرَض بطلب الوصل الذي ينقده - أو يتركاه يمتهن بها تركت تلك العيون من حزن وألم.

(٤) يقصد من قال: «حتى نجا من خوفه وما نجا».

(٥) وهذا ناتج عن تماثل الكلمتين المتجانستين تماماً في اللفظ واختلافهما في المعنى، فها هنا تعددت الإفادة مع أن الصورة صورة الإعادة، وكأن هذه الفائدة لا تحصل من «مذهب» و«مُذْهَب»؛ لعدم تماثل الكلمتين في هيئة حرف الميم أو لتكلف البيت الذي وردا فيه.

(٦) من الواضح أن المستوفي عند عبد القاهر هو اتفاق اللفظين في كل شيء حتى في نوع الكلمتين؛ حيث جاء كل منهما فعلاً ماضياً، وهذا يسمّى عند المتأخرين بالجناس المائل، أما المستوفي عندهم، فيختلف فيه

نوع اللفظين كاسم وفعل مثل: «سميته يحيى ليحيا» [راجع: الإيضاح بتعليق البغية ٤/ ٦٩، ٧٠].

(٧) أي: ما رأينا عاقلاً طرح النظم وطرح المحاسن التي كان النظم سبباً فيها من الاستعارة والكناية

من الاستعارة والكناية والتمثيل وضروب المجاز والإيجاز، وصدَّ بوجهه عن جميعها، وجعل الفضل كله والمزية أجمعها<sup>(١)</sup> في سلامة الحروف مما يثقل، كيف؟ وهو يؤدي إلى السخف<sup>(٢)</sup> والخروج من العقل كما بيَّنا.

واعلم أنه قد آن لنا نعود إلى ما هو الأمر الأعظم والغرض الأهم والذي كأنه الطلِّبة وكل ما عداه ذرائع إليه، وهو المرام، وما سواه أسباب للتسلق عليه، وهو بيان العلل التي لها وجب أن يكون لنظم مزيةً على نظم، وأن يعظم أمر التفاضل فيه، ويتناهى إلى الغيات البعيدة<sup>(٣)</sup>، ونحن نسأل الله تعالى العون على ذلك والتوفيق له والهداية إليه.

\*\*\*

والتمثيل، وهذا يعني أن حسن الاستعارة مستمد من النظم، وحسن الكناية مستمد من النظم وهكذا. (١) هذا يعني أن الشيخ لا يمنع نسبة بعض الفضل وبعض المزية لخفة الحروف، وهو ينسجم مع ما صرَّح به الشيخ قبل في هذا السياق من أنه لا يأبى أن تكون مذاقة الحروف داخلاً فيما يوجب الفضيلة، وأن يكون مما يؤكد الإعجاز، وإنما الذي ينكره أن يجعله الأصل والعمدة في الإعجاز وهو هذه الرؤية لا يختلف معه أحد.

(٢) يقال: رجل في عقله سخف، أي: نقص «المصباح».

(٣) هذه العبارة مطمعة وهي تدفعنا إلى الانتقال في عجلة للكلام التالي للوقوف على تلك العلل التي يفضل بها نظم من نظم ونقلب صفحة بعد صفحة ونفتش بين السطور، فلا نجد تلك العلل، ولكن نجد مقدمات يتوسل بها إلى معرفتها، وفي هذه المقدمات يذكرنا الشيخ بأسس لا بدَّ منها تتصل براهية النظم، وأنه لا مفر من معرفة معاني النحو وأحكامه وفروقه فيما بين الكلم، وأن طالب دليل الإعجاز من نظم القرآن لا بدَّ له من معرفة هذه الأمور، ثم انتقل إلى أصول بناء النظم الذي يتكون أساساً من الخبر الذي يتكون من مخبر به ومخبر عنه، واستطرد من ذلك إلى أن إثبات شيء لشيء أو نفيه عنه لا يتعلق بالألفاظ ولكن بالمعاني.. حتى يصل إلى المفعول وبعد جهد جهيد يصل إلى أن ما يترتب على الفروق بين نظم ونظم من مزايا هي أمور خفية ومعانٍ روحانية لا يتنبه لها إلا من كان مهياً لإدراكها بطبيعة قابلة لها وذوق وقريحة وإحساس نفس مرهفة، ويبدو أن السكاكي جال في دلائل الإعجاز جولات حتى خرج هذه النتيجة، وهي أن الإعجاز لا يدرك إلا بالذوق.

## الخبر وما يتحقق به الإسناد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ما أظنُّ بك أيها القارئ لكتابتنا، إن كنت وفيته حقَّه من النظر، وتدبرته حق التدبر، إلا أنك قد علمت علماً أبيض أن يكون للشك فيه نصيب، وللتوقف نحوك مذهباً، أن ليس النظم شيئاً إلا توخي معاني النحو وأحكامه ووجوهه وفروقه فيما بين معاني الكلم، وأنك قد تبينت أنه إذا رفع معاني النحو وأحكامه مما بين الكلم حتى لا تتراد فيها في جملة ولا تفصيل خَرَجَتِ الكلم المنطوق ببعضها في إثر بعض في البيت من الشَّعر والفصل من الشتر، عن أن يكون لكونها في مواضعها التي وضعت فيها موجب ومقتضى، وعن أن يتصور أن يقال في كلمة منها أنها مرتبطة بصاحبة لها ومتعلقة بها وكائنة بسبب منها<sup>(١)</sup>، وأنَّ حُسْنَ تصوُّرك قد ثبت فيه قدمك<sup>(٢)</sup>، وملاً من الثقة نفسك.

فإذا ثبت الآن أن لا شك ولا مرية في أن ليس النظم شيئاً غير توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين معاني الكلم ثبت من ذلك أن طالب دليل الإعجاز من نظم القرآن إذا هو لم يطلبه في معاني النحو وأحكام ووجوهه وفروقه، ولم يعلم أنها معدُّه ومَعَانُهُ<sup>(٣)</sup> وموضعه ومكانه، وأنه لا مستنبط له سواها، وأن لا وجه لطلبه فيما عداها، غارٌّ<sup>(٤)</sup> نفسه بالكاذب من

(١) يعني: أنه ليس هناك رابط يربط بين الكلمات المتجاورة سوى النحو، وأنه إذا عدم هذا الرابط لم يكن هناك مسوغ لمجيء الكلمات بعضها في إثر بعض؛ لأنه ليس هناك رابط آخر يربطها، ومثال ذلك أن يكون هناك فعل واقع من فاعل ومنعدِّ لمفعول، وقد تعلق به ظرف أو حال أو تمييز.. فهذه بعض العلاقات النحوية التي لا يقام للتركيب قائمة بدون مراعاتها.

(٢) سياق الكلام: «إلا أنك قد علمت علماً... وأنك قد تبينت أنه... وأن حسن تصوُّرك لذلك قد ثبت فيه قدمك... إلخ».

(٣) المعان: المباءة والمنتزل.

(٤) أي أن طالب دليل الإعجاز خادع نفسه بالكاذب من الطمع إذا هو لم يطلبه في معاني النحو وأحكامه... إلخ.

وهذا الكلام مبني على التسليم مبدئياً بأن إعجاز القرآن يكمن في نظمه، وأن الذي يبحث عن دليل الإعجاز من نظم القرآن لا مفر له من تتبع معاني النحو وأحكامه ووجوهه وفروقه ويتعرف عليها في ذلك النظم، ولعل هذا ما وعد به الشيخ من بيان العلل التي من أجلها يفضل كلام عن كلام، ويكون لنظم مزية على نظم، لكن الكلام هنا مجمل، وكان كلام الشيخ في صدر كتابه أكثر بيانياً عندما نَبَّه إلى منهج دقيق للبحث في الإعجاز يبدأ بالنظر النقدي في الشعر، وبإذا يفضل شعر شعراً ثم ترديد =

الطمع، ومسلّم لها إلى الحُدْع، وأنه إن أبى أن يكون فيها كان قد أبى أن يكون القرآن معجزاً بنظمه، ولزمه أن يثبت شيئاً آخر يكون معجزاً به، وأن يلحق بأصحاب «الصرْفَة» فيدفع الإعجاز من أصله، ونسأل الله العصمة والتوفيق.

### [ أصول بناء النظم ]

#### [ الخبر مثبتاً ومنفياً ]:

وهذه أصول يحتاج إلى معرفتها قبل الذي عمدنا له.

اعلم أن معاني الكلام كلها معانٍ لا تتصور إلا فيما بين شيئين، والأصل والأول هو الخبر، وإذا أحكمت العلم بهذا المعنى فيه عرفته في الجميع، ومن الثابت في العقول والقائم في النفوس أنه لا يكون خبر حتى يكون مخبر به ومخبر عنه؛ لأنه ينقسم إلى إثبات ونفي، والإثبات يقتضي مثبتاً ومثبتاً له، والنفي يقتضي منفيّاً ومنفيّاً عنه، فلو حاولت أن تتصور إثبات معنى أو نفيه من دون أن يكون هناك مثبت له ومنفي عنه حاولت ما لا يصح في عقل ولا يقع في وهم<sup>(١)</sup>، ومن أجل ذلك امتنع أن يكون لك قصد إلى فعل من غير أن تريد إسناده إلى شيء مظهر أو مقدر، وكان لفظك به إذا أنت لم ترد ذلك وصوتاً تصوته سواء.

وإن أردت أن تستحكم معرفة ذلك في نفسك، فانظر إليك إذا قيل لك: «ما فعل زيد؟»<sup>(٢)</sup> فقلت: خرج، هل يتصور أن يقع في خَلْدِكَ من «خرج» معنى من دون أن ينوي فيه ضمير زيد؟ وهل تكون أن أنت زعمت أنك لم تنو ذلك إلا مخرجاً نفسك إلى الهديان؟

ولما كان الأمر كذلك أوجب ذلك أن لا يعقل إلا من مجموع جملة فعل واسم، كقولنا: «خرج زيد»، أو اسم واسم كقولنا: «زيد منطلق»، فليس في الدنيا خبر يعرف من غير هذا

= النظر بين نظم الشعر ونظم القرآن لتبين الوجوه والفروق التي يتميز بها نظم القرآن، فهنا يكمن دليل الإعجاز، ويظهر البرهان والفصل والفرقان.

(١) حاصل هذا أن الخبر مثبتاً أو منفيّاً من أسس بناء النظم، والشيخ ينبّه بهذا الكلام إلى أن أول أصول بناء النظم، وارتباط الكلم بعضها ببعض يعتمد على النحو؛ لأن إثبات شيء لشيء يعني أن هناك مثبتاً هو الخبر، ومثبتاً له المبتدأ، وبينها ما ترى من التعلق المعنوي، فبناء النظم يعتمد على علاقات معنوية يدل النحو عليها.

(٢) هذا انتقال من الإسناد في الجملة الاسمية إلى الإسناد في الجملة الفعلية؛ إذ لا يوجد فعل من غير فاعل يقوم به، وهذه العلاقة المعنوية في بناء الجملة الفعلية بدلنا النحو عليها.

السبيل وبغير هذا الدليل، وهو شيء يعرفه العقلاء في كل جيل وأمة، وحكم يجري عليه الأمر في كل لسان ولغة.

وإذ قد عرفت أنه لا يتصور الخبر إلا فيما بين شيئين: مخبر به ومخبر عنه، فينبغي أن تعلم أنه يحتاج من بعد هذين إلى ثالث، وذلك أنه كما لا يتصور أن يكون ها هنا خبر حتى يكون مخبر به ومخبر عنه، كذلك لا يتصور أن يكون خبر حتى يكون له مخبر يصدر عنه، ويحصل من جهته، ويكون له نسبة إليه، وتعود التبعة فيه عليه فيكون هو الموصوف بالصدق إن كان صدقاً، وبالكذب إن كان كذباً، أفلا ترى أنه من المعلوم أنه لا يكون إثبات ونفي حتى يكون مثبت وناقض يكون مصدرهما من جهته، ويكون هو المزجي لهما، والمبرم والناقض فيهما، ويكون بهما موافقاً ومخالفاً ومصيباً ومخطئاً ومحسناً ومسيئاً<sup>(١)</sup>.

وجملة الأمر، أن الخبر وجميع الكلام معانٍ ينشئها الإنسان في نفسه، ويصرفها في فكره ويناجي بها قلبه، ويراجع فيها عقله، وتوصف بأنها مقاصد وأغراض، وأعظمها شأنًا «الخبر» فهو الذي يتصور بالصور الكثيرة، وتقع فيه الصناعات العجيبة<sup>(٢)</sup>، وفيه يكون - في الأمر الأعم - المزايا التي بها يقع التفاضل في الفصاحة كما شرحنا فيما تقدم، ونشرحه فيما نقول من بعد إن شاء الله تعالى<sup>(٣)</sup>.

(١) حاصل هذا ضرورة وصل الخبر بصاحبه، وأن الحكم على الكلام بالصحة أو الخطأ، والحسن أو القبح، والصدق أو الكذب هو حكم على صاحبه الذي يتحمل تبعة كلامه؛ لأنه تعبير عن فكره ووساوس نفسه وعقله، وكان الشيخ يواجه بهذا التجاهين، الأول: اتجاه المناطقة الذين يحكمون بالصدق أو الكذب على الخبر لذاته، والثاني: اتجاه اللفظيين وما يترتب على نظرهم اللفظية من قطع الصلة بين الكلام وأغراضه المعنوية النابعة من نفس المتكلم، فهذا الاتجاه اللفظي يقطع الصلة بين الكلام وقائله، ويرسل يد المتلقي في النص ليفسد مقاصده، واتجاه عبد القاهر عكس هذا؛ لأنه يربط بين الخبر وقائله وماذا يقصد.

(٢) هذا ربط دقيق بين النظم الذي يعد الخبر أساسه وبين المعاني المقصودة والأغراض المطلوبة، وأن النظم يتصرف على وجه شتى بحسب تلك الأغراض، وأنه من المحال معرفة كل ذلك إلا من معاني النحو الكامنة في ذلك النظم.

(٣) يقصد ما سبق من حديثه عن الفروق في الخبر كالفرق بين التعبير بالاسم والتعبير بالفعل، والفرق بين التعريف والتكبير، والتقديم والتأخير... إلخ، وما يترتب على تلك الفروق من مزايا مرتبطة بالأغراض، أما شرحه ذلك فيما بعد وفيما سيأتي، فإننا لا نجد فيما جاء بعد ذلك إلا حديثاً عن نسبة الشيء للشيء، وأنها ليست نسبة لفظية، ولكنها نسبة معنوية؛ لأن الألفاظ أدلة على المعاني. ثم ينتقل إلى المفعول ليثبت أنه ليس زيادة في الفائدة، وهكذا يمضي الشيخ حتى ينتهي من كتابه دون أن يحقق ما وعد به من شرح تلك المزايا، ويبدو أن الأجل لم يمهلته لئتم ما أراد.

## [توهم أن المفعول زيادة في الفائدة، والاحتجاج لبطلانه]

ومما ينبغي أن يحصل في هذا الباب أنهم قد أصّلوا في المفعول وكل ما زاد على جزئي الجملة أنه يكون زيادة في الفائدة، وقد يتخيل إلى من ينظر إلى ظاهر هذا من كلامهم أنهم أرادوا بذلك أنك تضم بما تزيده على جزئي الجملة فائدة أخرى، وينبغي عليه أن ينقطع عن الجملة حتى يتصور أن يكون فائدة على حدة<sup>(١)</sup>، وهو ما لا يعقل؛ إذ لا يتصور في «زيد» من قولك: «ضربت زيداً» أن يكون شيئاً برأسه، حتى تكون بتعديتك «ضربت» إليه قد ضمنت فائدة إلى أخرى. وإذا كان ذلك وجب أن يعلم أن الحقيقة في هذا أن الكلام يخرج بذكر المفعول إلى معنى غير الذي كان، وأن وِزَانَ الفعل قد عدي إلى مفعول معه، وقد أطلق فلم يقصد به إلى مفعول دون مفعول، وزان الاسم المخصص بالصفة مع الاسم المتروك على شِيعَةِ كقولك: «جاءني رجل ظريف» مع قولك: «جاءني رجل» في أنك لست في ذلك كمن يضم معنى إلى معنى، وفائدة إلى فائدة، ولكن كمن يريد ها هنا شيئاً وهناك شيئاً آخر<sup>(٢)</sup>. فإذا قلت: «ضربت زيداً» كان المعنى غيره إذا قلت: «ضربت» ولم ترد «زيداً».

وهكذا يكون الأمر أبداً كلما زدت شيئاً وجدت المعنى قد صار غير الذي كان، ومن أجل ذلك صلح المجازاة بالفعل الواحد إذا أتى به مطلقاً في الشرط ومعدى إلى شيء في الجزاء، كقول تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾ [الإسراء: ٧]، وقوله ﷻ: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٠]، مع العلم بأن الشرط ينبغي أن يكون غير الجزاء من حيث كان الشرط سبباً والجزاء مسبباً، وأنه محال أن يكون الشيء سبباً لنفسه<sup>(٣)</sup>، فلو لا أن المعنى في

(١) أي: يحقق فائدة قائمة بذاتها، وهي زائدة منقطعة عما يفيد الخبر.. هذا فهم من أخذ بظاهر كلام السابقين.  
 (٢) يعني مثل الفعل، وقد عدي إلى مفعول تارة وترك تعديته تارة أخرى كمثل الاسم، وقد خصص بالصفة تارة وترك تخصيصه تارة أخرى في أنك حين تعدي الفعل أو تخصص الاسم، فأنت في ذلك لا تضم معنى إلى معنى وفائدة إلى فائدة، ولكن تريد معنى آخر مختلفاً عما لو تركت التعدية أو تركت التخصص، فنحو «ضربت زيداً» يفيد معنى مختلفاً عن «ضربت» ولا نقول: إن المفعول زيادة في الفائدة، مثلما نقول: إن «جاءني رجل ظريف» يفيد معنى مختلفاً عن «جاءني رجل».  
 (٣) هذه حجة قوية على أن الجملة مع المفعول تفيد معنى مختلفاً عن الجملة من غير المفعول، وحاصل هذه الحجة: مجيء الجواب والشرط بفعل واحد؛ لأنه في الشرط مطلق وفي الجواب مقيد؛ كقوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾، ووجه الاستدلال بهذا أن الشرط غير الجواب حتماً؛ لأنها كالسبب والمسبب وهما مختلفان فدل هذا على أن الفعل مطلقاً في الشرط غير الفعل مقيداً في الجواب، والفعل مطلقاً في الشرط مثل «ضربت»، والفعل مقيداً في الجواب مثل «ضربت زيداً».

في «أحسنتم» الثانية غير المعنى في الأولى، وأنها في حكم فعل ثانٍ لما ساغ ذلك كما لا يسوغ أن تقول: «إن قمت قمت، وإن خرجت خرجت»، ومثله من الكلام قوله: «المرء بأصغريه إن قال قال بيان، وإن صال صال بجنان»<sup>(١)</sup>، ويجري ذلك في الفعلين قد عديا جميعاً إلا أن الثاني منهما قد تعدى إلى شيء زائد على ما تعدى إليه الأول، ومثاله قولك: «إن أتاك زيد أتاك لحاجة» وهو أصل كبير، والأدلة على ذلك كثيرة، ومن أولها بأن يحفظ: أنك ترى البيت قد استحسنته الناس وقضوا لقائله بالفضل فيه، وبأنه الذي غاص على معناه بفكره، وأنه أبو عذره<sup>(٢)</sup>، ثم لا ترى ذلك الحسن وتلك الغرابة كانا إلا لما بناه على الجملة دون نفس الجملة، ومثال ذلك قول الفرزدق:

وما حملت أم امرئٍ في ضلوعها      أعق من الجاني عليها هجائياً<sup>(٣)</sup>

فلولا أن معنى الجملة يصير بالبناء عليها شيئاً غير الذي كان، ويتغير في ذاته لكان محالاً أن يكون البيت بحيث تراه من الحسن والمزية<sup>(٤)</sup>، وأن يكون معناه خاصاً بالفرزدق، وأن يُقضى له بالسبق إليه؛ إذ ليس في الجملة التي بني عليها ما يوجب شيئاً من ذلك؛ فاعرفه.

والنكتة التي يجب أن تراعي في هذا أنه لا تتبين لك صورة المعنى الذي هو معنى الفرزدق إلا عند آخر حرف من البيت، حتى إن قطعت عنه قوله «هجائياً»، بل «الياء» التي هي ضمير الفرزدق لم تكن الذي تعقله منه مما أراده الفرزدق بسبيل؛ لأن غرضه تهويل أمر هجائه والتحذير منه، وأن من عرض أمه له كان قد عرضها لأعظم ما يكون من الشر.

(١) والشاهد: أنه قد أتى بالفعل الواحد في الشرط والجواب؛ لأنه في الشرط مطلق، وفي الجواب مقيد، والشرط غير الجواب حتماً، و«إن قال» وزان «ضربت»، و«قال بيان» وزان «ضربت زيداً»، وهذا يدل على أن الفعل عندما يأتي متعدياً للمفعول يفيد معنى مختلفاً عن الفعل عندما لا يتعدى.

(٢) هذا من استدعاء المثل العربي: «لا تنسى الشيباء أبا عذرها»، ومعناه: مهما كبرت المرأة لا تنسى بعلمها الذي افترعها وفصّ بكارتها، والمقصود هنا أنه أول من اخترع المعنى وافترعه وابتكره.

(٣) المعنى: يا ويل من هجوته ويا ويل أمه، وما حملت أم في ضلوعها أعق من ذلك الذي جنى عليها وعرضها لشر هجائياً، وفي ذلك تعريض بالفاحش من الهجاء وتهديد وتحذير لمن يهيج عليه الشاعر.

والشاهد أن هذه المعاني من تعريض وتشنيع وتهديد لا تدل على الجملة الأساس «وما حملت أم امرئ»، وإنما يفهم من المتعلقات التي بنيت عليها من الجار والمجرور «في ضلوعها» إلى المفعول «هجائياً».

(٤) يعني لو اقتصر المعنى على قوله: «وما حملت أم امرئ» ما كان ذلك الحسن الذي تراه بعد البناء عليه بتلك المتعلقات.

وكذلك حكم نظائره من الشعر، فإذا نظرت إلى قول القطامي:

فَهَنَّ يَنْبِذَنَّ مِنْ قَوْلٍ يُصَبِّنُ بِهِ      مَوَاقِعَ الْمَاءِ مِنْ ذِي الْغُلَّةِ الصَّادِي<sup>(١)</sup>

وجدتكم لا تحصل على معنى يصح أن يقال: إنه غرض الشاعر ومعناه إلا عند قوله: «ذي الغلّة».

ويزيدك استبصاراً فيما قلناه أن تنظر فيما كان من الشعر جُملاً قد عطفَ بعضها على بعض بـ«الواو» كقوله:

النَّشْرُ مَسْكٌ وَالْوَجُوهُ دَنَا      نَيْرٌ وَأَطْرَافُ الْأَكْفِ عَنَّمِ<sup>(٢)</sup>

وذلك أنك ترى الذي تعقله من قوله: «النشر مسك»، لا يصير بانضمام قوله: «والوجوه دنانير» إليه شيئاً غير الذي كان، بل تراه باقياً على حاله، كذلك ترى ما تعقل من قوله: «والوجود دنانير» لا يلحقه تغيير بانضمام قوله: «وأطراف الأكف عنم» إليه<sup>(٣)</sup>.

وإذ قد عرفت ما قرّرناه من أن من شأن الجملة أن يصير معناها بالبناء عليها شيئاً غير الذي كان، وأنه يتغير في ذاته؛ فاعلم أن ما كان من الشعر مثل بيت بشار:

كَأَنَّ مُشَارَ النَّعَقِ فَوْقَ رِءُوسِنَا      وَأَسْيَافِنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبَهُ<sup>(٤)</sup>

(١) الغلّة: حرارة الجوف من العطش، والصادي: العطشان، و«هن يبنذن من قول» أي: يلحن في القول لحناً يجعله في التأثير كالنيذ، والنفوس تظل في توقٍ إلى ذلك القول حتى يقع منها موقع الماء من الظمان الصادي، وهذا من الترقى في النصور تبعاً للترقي في المعنى؛ لأن حاجة الظمان للهاء أشد من حاجة النشوان للنيذ.

والشاهد أن المعنى المقصود لا يتم إلا بالمتعلقات من قوله: «يصبن» إلى «ذي الغلّة»، وإن شئت فقل بحسب مراد عبد القاهر: إن الخبر وحده يفيد معنى، فإذا روعي ما بني عليه من متعلقات وجدنا ذلك المعنى قد تغير وأفاد معنى آخر.

(٢) هذه تشبيهات متعددة مفروقة لا يتوقف معنى الأول على الثاني، ولا الثاني على الثالث، وقد استشهد به الشيخ لبيان أنه غير ما سبق من توقف تمام المعنى على المتعلقات، ولا توجد هنا متعلقات حتى يتوقف المعنى عليها، [راجع: تحليل البيت في «أساليب البيان والصورة القرآنية» للمؤلف ١٢٩].

(٣) ها هنا لفظة مهمة إلى أثر المتعلقات في تماسك البناء الكلامي بخلاف ما لو كان البيت من عدة جمل تامة لم يبين عليها شيء من المتعلقات، فإن بناء الكلام يكون أقل تماسكاً كما في النشر مسك...، وعبد القاهر لا ينظر إلى البيت من جهة ما فيه من تشبيهات، ولكن من جهة كونها معاني مستقلة.

(٤) يشبه صورة مركبة من حركة السيوف البراقة التي تعلقو وتهبط وسط ظلام الغبار المثار بصورة مركبة من حركة الكواكب المضيئة التي تهاوت، فاستطالت واختلفت جهات حركاتها في ظلمة الليل. والشاهد: أن المعنى لا يتم إلا بالمشبه به الذي وقع خبراً في نهاية البيت «ليل تهاوي كواكبه».

وقول امرئ القيس:

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا      لَدَى وَكْرِهِا العُنَابُ وَالْحَشْفُ البَالِي<sup>(١)</sup>

وقول زياد:

وإنَّا وَمَا تَلَقَى لَنَا إن هَجَوْنَا      لِكَالْبَحْرِ مَهْمَا يُلْقَى فِي البَحْرِ يَغْرَقُ<sup>(٢)</sup>

كان له مزية على قول الفرزدق فيما ذكرنا؛ لأنك تجد في صدر بيت الفرزدق جملة تؤدي معنى، وإن لم يكن معنى يصح أن يقال: إنه معنى فلان، ولا تجد في صدر هذه الأبيات ما يصح أن يعد جملة تؤدي معنى، فضلاً عن أن تؤدي معنى يقال: إنه معنى فلان<sup>(٣)</sup>؛ ذلك لأن قوله: «كأن مثار النقع» إلى «وأسيافنا» جزء واحد، و«ليل تهاوي كواكبه» بجملة الجزء الذي ما لم تأت به لم تكن قد أتيت بكلام.

وهكذا سبيل البيتين الآخرين، فقوله: «كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لذي وكرها» جزء، وقوله: «العناب والحشف البالي»، الجزء الثاني وقوله: «إنَّا وما تلقي لنا إن هجوتنا» جزء، وقوله: «لكالبحر» الجزء الثاني<sup>(٤)</sup>، وقوله: «مهما تلقى في البحر يغرق»، وإن كان جملة مستأنفة ليس لها في الظاهر تعلق بقوله: «لكالبحر»، فإنها لما كانت مبيّنة لحال هذا التشبيه

(١) يصف مهارة طائر العقاب في الصيد حتى ترى آثار ضحاياه: قلوب طير متناثرة حول عشه، فمنها الرطب الحديث عهد بصيد، ومنها اليابس البعيد عهد بصيد، فالأول يُشبه العناب، والثاني يشبه الحشف البالي، والشاهد: أن المعنى لا يتم إلا بالمشبه به في نهاية البيت.

(٢) أي: حالنا معك في تحملنا لأذاك وصبرنا عليك كالبحر الذي يبتلع كل ما يلقي فيه، وعلى ذلك فإن هذه الأبيات يجمع بينها أن المعنى لا يتم إلا بالمشبه به الذي وقع خبراً في نهاية البيت أو قرب النهاية، وأن المشبه الذي امتد بما بني عليه لا يكفيه ما بني عليه، وإنما يظل في انتظار المشبه به الذي يقع نهاية البيت.

(٣) أي أنك تجد في صدر بيت الفرزدق قوله: «وما حملت أم امرئ»، وهو معنى تام، لكنه ليس ما قصده الفرزدق؛ لأن ما قصده لا يتصور إلا مع نهاية البيت.

(٤) حاصل هذا أن تلك الأبيات الثلاثة لها مزية على بيت الفرزدق هي شدة الاتصال؛ لأن في صدر بيت الفرزدق جملة تؤدي معنى، ولو لم يكن هو غرض الشاعر، لكن صدور هذه الأبيات تنتظر أعجازها لتتم معانيها، وهذا أدى لشدة اتصال الأعجاز بالصدور، وهذا عند عبد القاهر من النمط العالي والباب الأعظم الذي يتحد فيه أجزاء النظم.

ومع أن المتعلقات المبنية على الجملة الأساس تؤدي إلى معنى جديد لا تؤديه الجملة الأساس وحدها، وتؤدي إلى تماسك البناء، فإن ذلك البناء يكون أقوى تماسكاً فيما لو كان عجز البيت هو المتمم للمعنى كما في الأبيات الثلاثة.

صارت كأنها متعلقة بهذا التشبيه، وجرى مجرى أن تقول: «لكالبحر في أنه لا يلقي فيه شيء إلا غرق».

## فصل من

### الخبر وما يتحقق به الإسناد

وإذا ثبت أن الجملة إذا بني عليها حصل منها ومن الذي بني عليها في الكثير معنى يجب فيه أن ينسب إلى واحد مخصوص، فإن ذلك لا محالة أن يكون الخبر في نفسه معنى هو غير المخبر به والمخبر عنه، ذلك لعلمنا باستحالة أن يكون للمعنى المخبر به نسبة إلى المخبر، وأن يكون المستنبط والمستخرج والمستعان على تصويره بالفكر.

فليس يشك عاقل أنه محال أن يكون للحمل في قوله: «وما حملت أم امرئ في ضلوعها» نسبة إلى الفرزدق، وأن يكون الفكر منه كان فيه نفسه، وأن يكون معناه الذي قيل: إنه استنبطه واستخرجه وغاص عليه، وهكذا السبيل أبداً، لا يتصور أن يكون للمعنى المخبر به نسبة إلى الشاعر، وأن يبلغ من أمره أن يصير خاصاً به، فاعرفه<sup>(١)</sup>.

ومن الدليل القاطع فيه ما بيناه في الكناية والاستعارة والتمثيل وشرحناه، من شأن هذه الأجناس أن توجب الحسن والمزية، وأن المعاني تتصور من أجلها بالصور المختلفة، وأن العلم بإيجابها ذلك ثابت في العقول، ومركوز في غرائز النفوس، وبيننا كذلك أنه محال أن تكون المزايا التي تحدث بها حادثة في المعنى المخبر به المثبت أو المنفي، لعلمنا باستحالة أن تكون المزية التي تجدها لقولنا: «هو طويل النجاد» على قولنا: «طويل القامة» في الطول<sup>(٢)</sup>، والتي تجدها لقولنا: «هو كثير رماد القدر» على قولنا: «هو كثير القرى والضيافة» في كثرة

(١) حاصل هذا أن معاني المفردات «كالمخبر به والمخبر عنه» من وضع اللغة، وليست من أوضاع المتكلمين، وأن الذي يضعه المتكلم هو الإثبات وما يبنى عليه، ويريد الشيخ من هذا أنه لا مزية للمفردات؛ لأنها من وضع اللغة، وهي متاح لكل متكلم، وإنما تكون المزية للإثبات الذي ينسب للمتكلم، وتختلف طريقتة من متكلم لآخر، ثم يستدل على هذا بالكناية والاستعارة والتمثيل؛ لأنها تتناول المعاني في صور مختلفة تتيح إبراز المزايا والفروق، وهي تنسب إلى قدرات المتكلمين، ولا يمكن أن تكون مزاياها في معانيها المفردة أو المجردة.

(٢) «في الطول» جار ومجرور متعلق بـ«تكون»، أي: محال أن تكون المزية في الطول، ولكن في إثبات الطول له بواسطة الكناية.

القرى، وإذا كان ذلك محالاً ثبت أن المزية والحسن يكونان في إثبات ما يراد أن يوصف به المذكور والإخبار به عنه، وإذا ثبت ذلك ثبت أن الإثبات معنى<sup>(١)</sup> لأن حصول المزية والحسن فيما ليس بمعنى محال<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) أي: معنى تام.

(٢) هذا يعني أن محور حديث الشيخ هنا هو الإثبات؛ لأنه أساس النظم الذي يرد الإعجاز إليه. وهناك فصل تالٍ - في بضع صفحات - في الخبر وما يتحقق به الإسناد، [راجع: دلائل الإعجاز بتعليق محمود شاكر من ٥٣٩: ٥٤٥]، وهو لا يزيد عن كونه تكرار لما سبق، وفي إثباته عبث، وقد نبّه الشيخ محمود شاكر إلى ذلك التكرار، وذكر أنه لا ضير من إثباته كما أثبتته رشيد رضا، وهذا الفصل المكرر أكثره ليس موجوداً في المخطوطة (ج) كما ذكر محمود شاكر ص (٥٣٨)، ويبدو أنه زيادات النسخ الأخرى أو أن صاحب النسخة (ج) تركه لما لاحظته من تكرار، وأنه لا يضيف شيئاً.

إدراك البلاغة بالذوق وإحساس النفس<sup>(١)</sup>

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم أنك لن ترى عجباً أعجب من الذي عليه الناس في أمر النظم، وذلك أنه ما من أحد له أدنى معرفة إلا وهو يعلم أن ها هنا نظماً أحسن من نظم، ثم نراهم إذا أنت أردت أن تبصّرهم ذلك تسدّر أعينهم<sup>(٢)</sup>، وتضل عنهم أفهامهم، وسبب ذلك أنهم أول شيء عدموا العلم به نفسه<sup>(٣)</sup>، من حيث حسبه شيئاً غير توخي معاني النحو، وجعلوه يكون في الألفاظ دون المعاني، فأنت تلقي الجهد حتى تميلهم عن رأيهم؛ لأنك تعالج مرضاً مزماً وداً متمكناً، ثم إذا أنت قدتهم بالخزائم<sup>(٤)</sup> إلى الاعتراف بأن لا معنى له غير توخي معاني النحو، عرض لهم من بعد خاطر يدهشهم حتى يكادوا يعودون إلى رأس أمرهم، وذلك أنهم يروننا ندعي المزية والحسن لنظم كلام من غير أن يكون فيه من معاني النحو شيء يتصور أن يتفاضل الناس في العلم به، ويروننا لا نستطيع أن نضع اليد من معاني النحو ووجوهه على شيء نزع من شأن هذا أن يوجب المزية لكل كلام يكون فيه، بل يروننا ندعي المزية لكل ما ندعيها له من معاني النحو ووجوهه وفروقه في موضع دون موضع، وفي كلام دون كلام، وفي الأقل دون الأكثر، وفي الواحد من الألف، فإذا رأوا الأمر كذلك، دخلتهم الشبهة وقالوا: كيف يصير المعروف مجهولاً؟ ومن أين يتصور أن يكون للشيء في كلام مزية عليه في كلام آخر بعد أن تكون حقيقته فيهما حقيقة واحدة؟<sup>(٥)</sup>

(١) سيأتي في هذا الفصل من كلام الشيخ ما يدل على أنه قصد بهذا العنوان أن خصائص البلاغة المعجزة التي تكمن في نظم القرآن إنما تدرك بالذوق وإحساس النفس؛ لأن هذه الخصائص أمور خفية ومعاني روحانية تحتاج من السامع إلى ذوق حساس وفطنة تساعد على التقاط تلك الخصائص، وقد أفاد السكاكي من هذا الفصل إفادة إجمالية حين ردّ إدراك الإعجاز إلى الذوق وليس غيره.

(٢) سِدْرَ بصره يسدّر سدرًا: تحيّر فلم يكدر يبصر.

(٣) أي: عدموا فهم النظم، فكيف يفهمون أن نظماً يتميز عن نظم إذا كان مفهوم النظم نفسه غائماً في عقولهم.

(٤) أي: حملتهم على الاعتراف، وأصل الخزائم: جمع خزيمة وهي حلقة من شعر تجعل في أنف البعير ليشد بها الزمام حتى ينقاد.

(٥) حاصل هذا أن الذين يشككون في مرجع المزية إلى معاني النحو يجتجون بأن ادعاء المزية في شيء من هذه المعاني لا يطرده فيه، فالمزية لا تطرد في كل تقديم مثلاً أو في كل تنكير، وهو احتجاج يدل على عدم =

فإذا رأوا التنكير يكون فيما لا يحصى من المواضع ثم لا يقتضي فضلاً، ولا يوجب مزية اهتمونا في دعوانا ما ادعينا لتنكير الحياة في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩] من أن له حسناً ومزيةً، وأن فيه بلاغة عجيبة<sup>(١)</sup>، وظنوه وهمًا منا وتخيلًا.

### [مزايا النظم أمور خفية ومعاني روحانية تستلزم ذوقاً حساساً]

ولسنا نستطيع في كشف الشبهة في هذا عنهم، وتصوير الذي هو الحق عندهم ما استطعناه في نفس النظم؛ لأننا ملكنا في ذلك أن نضطرهم إلى أن يعلموا صحة ما نقول، وليس الأمر في هذا كذلك<sup>(٢)</sup>، فليس الداء فيه بالهين، ولا هو بحيث إذا رمت العلاج منه وجدت الإمكان فيه مع كل أحد مسعفاً، والسعي منجحاً؛ لأن المزايا التي تحتاج أن تعلمهم مكانها وتصور لهم شأنها أمور خفية ومعاني روحانية أنت لا تستطيع أن تنبّه السامع لها، وتحدث له علماً بها حتى يكون مهياً لإدراكها، وتكون فيه طابعة قابلة لها، ويكون له ذوقٌ وقرينةٌ يجد لهما في نفسه إحساساً بأن من شأن هذه الوجوه والفروق أن تعرض فيها المزية على الجملة، ومن إذا تصفح الكلام وتدبر الشعر فرّق بين موقع شيء منها وشيء، ومن إذا أنشدته قوله:

لي منك ما للناس كلهم      نظرٌ وتسليمٌ على الطَّرِيقِ<sup>(٣)</sup>

= معرفة بخصوصية السياقات، وأن التقديم قد يكون له مزية في سياق ولا تكون له في سياق آخر، وكذلك التنكير.

(١) تنكير «حياة» في هذه الآية فيه ما فيه من التفضيم والتعظيم من شأن تلك الحياة، وأنها حياة آمنة مطمئنة، وهذه المزية مرتبطة باستعمال هذه الكلمة في معنى معين وسياق خاص، وأنه ليس من اللازم أن نجد نفس المزية في كل تنكير حتى يتعلق من تعلق بعدم اطراد تلك المزية.

(٢) هذا الكلام يعني أمرين:

الأول: ثقة الشيخ فيما قاله قبل في النظم ووجوهه ومعانيه وفروقه، وأنه قد ذكر في ذلك الأدلة والبراهين التي لا ترد، والتي ألجأتهم إلى العلم بصحة ما يقول.

الثاني: أنه ليس الأمر كذلك فيما يتعلق بمزايا النظم التي يرد إليها الإعجاز؛ لأن تلك المزايا تتعلق بأمور خفية ومعاني روحانية تستلزم ذوقاً حساساً، وطبيعة قابلة لإدراك هذه المزايا، وفي هذا تعريض بافتقاد الذين وقعت لهم الشبهة إلى ذلك الذوق وتلك الطبيعة القابلة، وأن الصعوبة تكمن في أنهم غير مهيين لإدراك تلك المزايا، والشيخ لا يقصد بالمزايا هنا ظاهر معاني النص، وإلا فماذا يعني بالأمور الخفية والمعاني الروحانية سوى ثمرات الخصوصيات التي يدركها أولو الألباب.

(٣) البيت في معجم الشعراء - لأبي عمارة المكي - طبعة ثانية بالمكتبة العلمية، بيروت، وهو زفرة متحسر لأنه - على حبه لتلك المرأة - يرى نفسه كسائر الناس لا يحظى منها بشيء سوى نظر وتسليم، وسياق الصورة الكلية هو الذي ينبّه لقيمة التنكير والحذف في هاتين الكلمتين، بقول الشاعر:

وقول البحرني:

وسأستقلّ لك الدموعَ صباباً      ولو أنّ دجلةً ليّ عليك دموع<sup>(١)</sup>

وقوله:

رأتُ فلتاتِ الشيبِ فابتسمتُ لها      وقالت: نجومٌ لو طلّعنَ بأسعد<sup>(٢)</sup>

=

تثنى إليه أعتة الخدق	= يامن بدائع حُسن صورته
نظرٌ وتسليمٌ على الطرق	لي منك ما للناس كلهم
وشققت حين أراك بالفرق	لكنهم ساعدوا بأمنهم
حرى ودمعة هائم ملبق	سلموا من البلوى ولي كبد

فهذه الأبيات تعكس تجربة صادقة لمحِب صامت يتلظى بحب من لا يعلم بحبه شيئاً، ورغم الحسن البديع الذي يشي إليه كل العيون، فإن الشاعر كان يتمنى أن يكون له شيء يخصه يخفف لوعته. وجو الأبيات المتحسر يدل على ما في تنكير «نظر وتسليم» من التقليل، فإنه نظر خاطف لا يروي ظمأه، وتسليم عابر لا يحصل منه على شيء، ناهيك عن الحذف وتقديره: نظر إليك وتسليم عليك، وهو حذف يقوي الإحساس بسرعة النظر والتسليم، ووراء ذلك ما وراءه من الحسرة واللوعة؛ لأنه يهيم بمن لا يعأ به ولا يعلم عنه شيئاً، وهذا المعنى النفسي الخفي وراء مزاي النظم هو ما قصده عبد القاهر بالأمور الخفية والمعاني الروحانية والتي كانت غايته من تعليل المزاي.

(١) هذا من الرثاء الصادق الذي يرى الشاعر فيه دموعه قليلة بالقياس إلى حزنه العظيم، والمعنى أنه سيظل يستقل تلك الدموع، ولو كان له منها مثل مياه دجلة؛ لأن المرثي جدير بالوفاء، ويرى الشيخ أن قوله: «لي عليك دموع» يشبه السحر، وأن ذلك من أجل تقديم «لي» على «عليك»، ثم تنكير الدموع، وربما تلمح المزية عند التحول بـ«لو» من الشرطية إلى التمني، كأنه بعد أن ذكر قلة الدموع تمنى أن يكون له منها مثل مياه دجلة ليزرفها وفاءً بحق المرثي وتخفيفاً من ثقل الأحزان، وحينئذ يكون تقديم «لي» ليجاور دجلة، ويكون فيه دلالة على صدق اللفظة لما يتمناه، ويكون في تنكير دموع دلالة على الكثرة الكاثرة التي تفي بوفائه، وتخفف عن معاناته، وعلى ذلك فالأمور الخفية والمعاني الروحانية هي معاني نفسية وراء المزاي.

(٢) فلتات الشباب: أول ما يسرع من الشيب، أسعد: جمع سعد، مثل سقف وأسقف، والسعد كناية عن الشباب، والباء للمصاحبة والاقتران، أي: لو اقترن طلوع تلك النجوم -أي: ظهور تلك الشعرات البيض- بجمال الشباب وقوته، فهذا التمني يعكس الإحساس بالتباين بين تألق فلتات الشيب «نجوم» وأقول الشباب وقوته، ولا شك أن الجمع بين جمال تلك الشعرات البيض وجوهر الشباب وقوته أمر عزيز، ولهذا تمتته بـ«لو» الدالة على الحسرة والزفرة، ولعل هذا المعنى النفس مرتبط باستعارة نجوم وتنكيره ومرتبطة بذلك التمني، ولعل هذا هو مراد عبد القاهر من رد المزاي إلى أمور خفية ومعاني روحانية.

وقول أبي نواس:

ركبٌ تساقوا على الأكوار بينهمُ      كأس الكرى فانتشى المسقيُّ والساقى  
 كأن أعناقهم والنوم واضعُها      على المناكب لم تُعمد بأعناق<sup>(١)</sup>

وقوله:

يا صاحبي عصيتُ مُضطَبِحًا      وغدوتُ للذاتِ مطرَحًا  
 فزودوا مني محادثَةً      حذرُ العصا لم يُبقي لي مرَحًا<sup>(٢)</sup>

وقول إسماعيل بن يسار:

حتى إذا الصبح بدأ ضوؤه      وغابتِ الجوزاءُ والمِرزَمُ  
 خرجتُ والوطءُ خفيٌّ كما      ينساب من مَكمَنِهِ الأرقمُ<sup>(٣)</sup>

أُتِيَ لها<sup>(٤)</sup>، وأخذته الأريحية عندها، وعرف لطف موقع الحذف والتنكير في قوله: «نظر

(١) هذه الصورة مظلمة بالإيحاءات النفسية، ففيها طول سفر وسهر وتعب، وقد قاوموا الكرى -العاس- بتجاذب أطراف الحديث، وهم يعتلون ظهور المطايا حتى غلبهم النوم وغالوا فيه، فاستلقت أعناقهم على المناكب حتى لا ترى لهم أعناقاً من شدة الاسترخاء، وهي صورة تبعث على أحاسيس متمتجة من الشفقة والارتياح والاندھاش مع طول التأمل وفي البيت الأول صور النوم بالخمر ورمز له بالكأس الذي يدور بينهم، وهناك مناسبة شديدة بين النوم والخمر وفي الانتشاء سكرة تعكس حلاوة النوم بعد التعب والتشبية في البيت الثاني فيه خيال طريف لشدة استلقاء الرؤوس على المناكب وكأنها لم تتصل بأعناق.

(٢) البيت الأول كناية عن استغراق اللذات له سائر أوقاته، والحسن كله في الشطر الأخير، وفيه صورة مبتكرة هي «حذر العصا» كناية عن الشيخوخة، فهو يحذر لارتباطها بالضعف والحاجة للاستعانة بالعصا، وإسنادها إلى جملة «لم يبق لي مرحاً» يومية إلى معنى نفسي إنساني هو أن حذر الشيخوخة أو الإحساس بقربها يعكس صفو اللذات، لاسيما وقد جسد تلك المرحلة بمظهرها المؤلم وهو الاستعانة بالعصا.

(٣) من عادة الشعراء عندما يذكرون غدوهم من عند الأجابة مع طلوع الصبح أن يجتهدوا في وصف التخفي عن أعين الرقباء، وقد نجح ابن يسار في تشبيه تسلله وحركة أقدامه المستخفية بانسياب الأرقم من مكمته، ولك أن تتخيل الحية وهي تنساب من مكمته في خفة وخفية، وذلك التشبيه ينبئ بعدم الشعور بالرضا من فعلاته ونزواته كما يدل عليه تخير الأرقم.

ومثل هذه الظلال النفسية الكامنة وراء صور المعاني وبنائها هي من المزايا التي ذكر عبد القاهر أنها أمور خفية ومعانٍ روحانية، وهي أمور لا تلحظ إلا عندما يسرح الإنسان بخياله، ويتروى ويتأمل فيما وراء الصور وكيفيات النظم.

(٤) «أُتِيَ لها»: تعجب واستحسن، ويقصد بذلك ما سبق من الشواهد.

«نظر وتسليم على الطرق».

وما في قول البحترى: «لي عليك دموع» من شبه السحر، وأن ذلك من أجل تقديم «لي» على «عليك»، ثم تنكير «الدموع»، وعرف كذلك شرف قوله:

وقالت: نجومٌ لو طلعتن بأسعد<sup>(١)</sup>

وعلو طبقته، ودقة صنعته.

### [ أهمية الذوق للمبدع والناقد معاً ]

والبلاء والداء العيأ أن هذا الإحساس<sup>(٢)</sup> قليل في الناس حتى إنه ليكون أن يقع للرجل الشيء من هذه الفروق والوجوه في شعر يقوله أو رسالة يكتبها الموقع الحسن، ثم لا يعلم أنه قد أحسن<sup>(٣)</sup>، فأما الجهل بمكان الإساءة فلا تعدمه، فلست تملك إذاً من أمرك شيئاً حتى تظفر بمن له طبعٌ إذا قدحته وري، وقلبٌ إذا أزيته رأي، فأما وصاحبك من لا يرى ما تُريه، ولا يهتدي للذي تهديه، فأنت رامٍ من غير مرمى، ومُعنٌ نفسك من غير جدوى، وكما لا تقيم الشعر في نفس من لا ذوق له، كذلك لا تُفهم هذا الشأن من لم يُوت الآلة التي بها يفهم<sup>(٤)</sup>، إلا أنه إنما يكون البلاء إذا ظنَّ العادم لها أنه أوتيتها، وأنه ممن يكمل للحكم، ويصحُّ منه القضاء، فجعل يقول القول لو علم غبَّه لاستحى منه، فأما الذي يحسن بالنقص من نفسه، ويعلم أنه قد عدم علماً قد أوتيه من سواه، فأنت منه في راحة، وهو رجل عاقل قد حماه عقله

(١) راجع: تحليل هذه الأشياء في الصفحة السابقة والتي قبلها.

(٢) يقصد الذوق والإحساس الذي يدرك به جوهر الشعر ولمحاته الخفية وراء الظاهر من صورته ونظمه، وذلك الذوق لا يمكن ضبطه، ولا يمكن تقنينه، ولكنه هبة يمنحها الله لمن يشاء كموهبة الشعر والإبداع، لذلك كان الناقد البصير الذي يملك ذلك الإحساس مبدعاً كالشاعر، ومن اليسير عليه أن يتقمص تجربة الشاعر، وأن يستبطن أحاسيسه ولمحاته الخفية.

(٣) يعني هذه اللمحات الخفية والمعاني الروحانية التي تلمح من وراء الصور والنظم قليلة؛ لأنها ليس لها قانون ولا هي مكتسبة، فلا تأتي بالتعليم، ولكنها ثمرة إحساس وثمره طبع مغروس، وهذا سبب قلتها، ومن سماتها أن الكاتب أو الشاعر يأتي بمثل هذه اللمحات وهو لا يعلم أنه أتى بها ولا يعلم أنه قد أحسن؛ لأنها ليست نتيجة صنعة مكتسبة يعمد إليها الشاعر، ثم يأتي الناقد البصير، فتستوقفه مثل هذه اللمحات، وعلى العكس من هذا قد يقع في الشعر مغمز فلا ينتبه الناقد إليه إلا إذا كان ذا حس بصير، وستأتي شواهد تدل على هذا.

(٤) يعني كما لا يكون الشاعر شاعراً إلا بموهبة وذوق مطبوع، فإن الناقد كذلك لا يكون ناقداً إلا بالآلة التي بها يفهم الشعر ويتذوقه، ويقصد بالآلة: الطبع المدرب المصقول بطول الممارسة والمداولة.

أن يعدو طوره، وأن يتكلف ما ليس بأهل له.

وإذا كانت العلوم التي لها أصول معروفة، وقوانين مضبوطة قد اشترك الناس في العلم بها، واتفقوا على أن البناء عليها إذا أخطأ فيها المخطئ ثم أعجب برأيه لم تستطع رده عن هواه، وصرفه عن الرأي الذي رآه إلا بعد الجهد، وإلا بعد أن يكون حصيداً عاقلاً ثبتاً إذا نبّه انتبه، وإذا قيل: إن عليك بقية من النظر وقف وأصغى، وخشي أن يكون قد غرّ، فاحتاط باستماع ما يقال له، وأنف من أن يَلجَّ من غير بينة، ويستطيل بغير حجة، وكان من هذا وصفه يعز ويقل. فكيف بأن ترد الناس عن رأيهم في هذا الشأن وأصلك الذي تردهم إليه، وتعمل في محاجتهم عليه استشهاد القرائح، وسبُّ النفوس وفلبيها، وما يعرض فيها من الأريحية عندما تسمع، وكان ذلك الذي يفتح لك سمعهم، ويكشف الغطاء عن أعينهم، ويصرف إليك أوجههم<sup>(١)</sup>، وهم لا يضعون أنفسهم موضع من يرى الرأي ويفتي ويقضي إلا وعندهم أنهم ممن صفت قريحته وصح ذوقه، وتمت أدواته<sup>(٢)</sup>. فإذا قلت لهم: «إنكم قد أنيتم من أنفسكم»<sup>(٣)</sup> ردوا عليك مثله وقالوا: «لا، بل قرائحنا أصح، ونظرنا أصدق، وحسنا أذكى، وإنما الآفة فيكم؛ لأنكم خيَلْتُم إلى أنفسكم أموراً لا حاصل لها، وأوهمكم الهوى والميل أن توجبوا لأحد النظمين المتساويين فضلاً على الآخر من غير أن يكون ذلك الفضل معقولاً»، فتبقى في أيديهم حسيراً لا تملك غير التعجب<sup>(٤)</sup>، فليس الكلام إذن بمغني عنك، ولا القول بنافع، ولا الحجة مسموعة حتى تجد من فيه عون لك على نفسه<sup>(٥)</sup>، ومن إذا أبى عليك أبى ذاك طبعه فرده

(١) حاصل هذا أن العلوم التي لها أصول معروفة وقواعد ثابتة إذا أخطأ فيها مخطئ مهمل كان متعصباً، فإنه يمكن تنبيهه إلى خطئه، والاحتكام إلى عقله في معرفة تلك الأصول، لكن أمر الشعر مختلف لاعتقاد المزايا فيه على الأريحية والإحساس والذوق، وهي أمور لا يملكها كل الناس، وليس لها مقياس، ومن الصعب أن تقنع من يفتقد هذا الإحساس بشيء في الشعر أنت تراه وتعتمد فيه على ذوق وبصيرة وأريحية.

(٢) أي أنهم يضعون أنفسهم موضع القادر على فهم الشعر وتذوقه وامتلاك أدواته، وهم لا يملكون شيئاً من ذلك.

(٣) أي: أسأتم لأنفسكم؛ حيث وضعتموها في غير موضعها.

(٤) أي أنهم لم يكتفوا بأن يدعوا ما ليس في وسعهم، ولكن تمادوا في الضلال برمي أهل العلم بالشعر بأن الآفة كانت منهم حيث يُحِيل لهم في الشعر أشياء ليست فيه فيما يتعلق بتميز شعر عن شعر من جهة النظم.

(٥) أي: لا فائدة مع المتعصب حتى يعينك على نفسه بأن تكون لديه بذروة إحساس تردده إلى رشده، فيعترف

أبي عليك أبي ذاك طبعه فرده إليك، وفتح سمعه لك، ورفع الحجاب بينك وبينه، وأخذ به إلى حيث أنت، وصرف ناظره إلى الجهة التي إليها أومأت، فاستبدل بالفار أنساً، وأراك من بعد الإباء قبولاً.

### [ أمور قد تخفى على الناقد ]

ولم يكن الأمر على هذه الجملة إلا لأنه ليس في أصناف العلوم الخفية والأمور الغامضة الدقيقة أعجب طريقاً في الخفاء من هذا، وإنك لتتعب في الشيء نفسك وتكد فيه فكرك، وتجهد فيه كل جهدك، حتى إذا قلت قد قتلته علماً، وأحكمته فهماً، كنت بالذي لا يزال يتراءى لك فيه شبهة، ويعرض فيه من شك، كما قال أبو نواس:

ألا لا أرى مثل امترائي في رسم      تغصُّ به عيني ويلفظه وهمي<sup>(١)</sup>  
أتت صورُ الأشياء بيني وبينه      فظني كلاظنَّ وعلمي كلا علم

### [ أخطاء خفية في النظم ]

وإنك لتنظر في البيت دهرًا طويلاً وتفسره، ولا ترى أن فيه شيئاً لم تعلمه، ثم يبدو لك فيه أمر خفي لم تكن قد علمته، مثال ذلك بيت المتنبي:

عَجَّبَ أَلَهُ حَفِظَ الْعِنَانَ بِأَنْمَلٍ      مَا حَفِظَهَا الْأَشْيَاءُ مِنْ عَادَاتِهَا<sup>(٢)</sup>

فيعترف من بعد الإباء بالصواب.

(١) يعني أنه لا يشك في شيء مثل شكه في الأطلال وآثار الديار، فعينه تمتلئ بها، وفكره يلفظها وكأنه يراها ولا يراها في آن لاسيما وأن صوراً أخرى حالت بينه وبين تلك الرسوم، وهذا ينسجم مع قوله:

صفة الطلول بلاغة القدم      فاجعل صفاتك لابنة الكرم  
وقدا استشهد به الشيخ على أن أمر الذوق عجيب ودقيق، فكم من الشعر تجهد فيه فكرك حتى تظن أنك قد أحطت به علماً، ثم تعرض لك فيه شبهة، فتعود من حيث بدأت، وكأنك تعلم الشيء ولا تعلمه.

(٢) كنى عن شجاعة الممدوح وكرمه بإثبات الحفظ ونفيه، فالأنامل التي تحفظ عنان الخيل في ميادين القتال - ليس من عاداتها حفظ الأشياء في مواطن الجود، ولم يقصد الشيخ إثبات خطأ للمتنبي، ولكن قصد أن أمر الذوق عجيب، وأنه كالإلهام الذي لا يتأتى في كل وقت، فكم من خطأ ظنَّ طول الدهر أنه صواب، ثم هداه الذوق فجأة إليه، فتمام المدح بالجود كان يقتضي إضافة الحفظ للأشياء، وحذف الفاعل «الضمير المتصل»؛ لأن الإضافة إليه تثبت للأنامل حفظاً ما ليس من عاداتها، ولعل دقة المعنى وحسن التصرف فيه هو الذي صرف ناقدًا كبيرًا كعبد القاهر عن التنبيه لذلك الخطأ دهرًا طويلاً.

مضى الدهر الطويل ونحن نقرؤه، فلا ننكر منه شيئاً، ولا يقع لنا أن فيه خطأ، ثم بَانَ بِأَخْرَةٍ أَنَّهُ قَدْ أَخْطَأَ، وذلك أنه كان ينبغي أن يقول: «ما حفظ الأشياء من عاداتها»، فيضيف المصدر إلى المفعول، فلا يذكر الفاعل، ذاك لأن المعنى على أنه ينفي الحفظ عن أنامله جملة، وأنه يزعم أنه لا يكون منها أصلاً، وإضافته الحفظ إلى ضميرها في قوله: «ما حفظها الأشياء» يقتضي أن يكون قد أثبت لها حفظاً، ونظير هذا أنك تقول: «ليس الخروج في مثل هذا الوقت من عادتي»، ولا تقول: «ليس خروجي في مثل هذا الوقت من عادتي»، وكذلك تقول: «ليس ذم الناس من شأني»، ولا تقول: «ليس ذمي الناس من شأني»؛ لأن ذلك يوجب إثبات الذم ووجوده منك، ولا يصح قياس المصدر على الفعل، أعني أنه لا ينبغي أن يظن أنه كما يجوز أن يقال: «ما من عاداتها أن تحفظ الأشياء»<sup>(١)</sup>، كذلك ينبغي أن يجوز ما من عاداتها حفظها الأشياء، ذاك أن إضافة المصدر إلى الفاعل يقتضي وجوده، وأنه قد كان منه، يبيّن ذلك أنك تقول: «أمرت زيداً بأن يخرج غداً»، ولا تقول: «أمرته بخروجه غداً».

### [ اعتقاد الصواب فيما خطؤه خفي ]

ومما فيه خطأ وهو في غاية الخفاء قوله:

وَلَا تَشْكُ إِلَى خَلْقٍ فَتَشْمِئْتَهُ      شَكْوَى الْجَرِيحِ إِلَى الْغَرِبَانِ وَالرَّخْمِ<sup>(٢)</sup>

وذلك أنك إذا قلت: «لا تضجر ضجر زيد» كنت قد جعلت زيداً يضجر ضرباً من الضجر، مثل أن تجعله يفرط فيه أو يسرع إليه، هذا هو موجب العرف، ثم إن لم تعتبر

(١) يعني أنه لا يجوز قياس «ما من عاداتها حفظها الأشياء» على «ما من عاداتها أن تحفظ الأشياء» في الجواز؛ لأن إضافة المصدر لفاعله «ضمير الأنامل» يقتضي إثبات حفظها الأشياء، وأن هذا ليس من عاداتها، أي أن حفظاً عارضاً للأشياء قد حدث، وكأنه يعتذر من شيء لم يقصده، ولكن تلك الإضافة تؤدي إليه.

(٢) أي: لا تشك إلى أحد من الخلق؛ لأنك إن شكوت إلى أحد يشمتك ويعرف نقطة ضعفك فينال منك، فتكون حينئذ كالبعير الذي أطلع الغربان والرخم على جرحه، فوقعوا عليه ينهشونه، والرخم: جمع رخمة، وهو طائر خبيث «المصباح».

وقد ذكر الشيخ أن في هذا البيت خطأ في غاية الخفاء؛ لأن وقوع المشبه به مصدرًا مبينًا للنوع يقتضي وقوعه كقوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ كَمَرٍّ مَرٍّ السَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨]، فهناك مرور للسحاب قطعاً، هذا يقتضي في البيت أن يكون هناك جريح كانت منه شكوى إلى الغربان والرخم، وهو محال، وأرى جريان هذا المصدر على طريق الاستعارة التي يخيل فيها بعيداً يشكو جرحه للغربان والرخم، والمعنى المقصود هنا يعود للمشبه، فيعني أن من تشكو إليه همك يجد منك فرصة ومطعمًا لينال منك، ولا يستبعد هذا في نوع من الناس فيه خبث ولؤم.

خصوص وصف، فلا أقل من أن تجعل الضجر على الجملة من عادته، وأن تجعله قد كان منه، وإذا كان كذلك اقتضى قوله:

### شكوى الجريح إلى الغربان والرخم

أن يكون ها هنا جريح قد عرف من حاله أن يكون له شكوى إلى الغربان والرخم، وذلك محال، وإنما العبارة الصحيحة في هذا أن يقال<sup>(١)</sup>: لا تشك إلى خلق، فإنك إن فعلت كان مثل ذلك مثل أن تصور في وهمك أن بعيراً دَبِرًا<sup>(٢)</sup> كشف عن جرحه، ثم شكاه إلى الغربان والرخم.

### [ اعتقاد الخطأ فيما هو صواب ]

ومن ذلك أنك ترى من العلماء من قد تأول في الشيء تأويلاً وقضى فيه بأمر، فتعقلده اتباعاً له<sup>(٣)</sup>، ولا ترتاب أنه على مع قضي وتأول، وتبقى على ذلك الاعتقاد الزمان الطويل، ثم يلوح لك ما تعلم به أن الأمر على خلاف ما قدر، ومثال ذلك أن أبا القاسم الأمدي ذكر بيت البحري:

فصاغ ما صاغ من تَبْرٍ ومن وَرِقٍ      وحاك ما حاك من وُشِيٍّ وديجاج<sup>(٤)</sup>

ثم قال: «صوغُ الغيث وحوكه للنبات ليس باستعارة، بل هو حقيقة، ولذلك لا يقال: «هو صائع»، ولا «كأنه صائع»، وكذلك لا يقال: «هو حائك» و«كأنه حائك»، قال: «على أن

(١) لعل الشيخ يقصد أن التأويل الصحيح لتلك العبارة أن تحمل على التمثيل بمعنى: لا تشك إلى خلق، فإنك إن شكوت كان مثلك مثل أن تتخيل بعيراً يكشف عن جرحه، ويشكو للغربان والرخم، وفي شكوى الجريح للغربان استعارة في المشبه به أو الممثل به.

(٢) البعير الدبر هو الذي تقرح ظهره من كثرة الحمل عليه أو من القتب.

(٣) تعتقده: تعتقد صحته ثقة في قائله، وكان يقصد الأمدي كما سيتبين، وفي هذا الكلام دليل على منزلة الأمدي عند عبد القاهر، وإن كان قد استدرك شيئاً عليه.

(٤) يصف أثر الغيث في ظهور النبات والأزهار والتي كان منها ما يشبه الذهب في صفوته، وما يشبه الفضة في بياضه وصفائه، ففي كل من التبر والورق استعارة تصريحية وبينها تناسب وتناظر، وصياغة البيت «صاغ ما صاغ... وحاك ما حاك» تعكس الاندهاش بجبال وكثرة ما صاغ وما حاك، وقد ورد البيت في «أسرار البلاغة»، وعلل الشيخ هناك استبعاد الاستعارة في الصوغ، وفي الحوك بالنظر إلى أن التجوز إنما وقع في إسنادهما للغيث؛ لأن الفاعل الحقيقي هو القادر سبحانه، والغيث سبب، فأسند الفعل إلى سببه إسناداً مجازياً، فمن المستبعد أن نقول بالاستعارة؛ لأنها تعني تشبيه الغيث بالقادر سبحانه [راجع: أسرار البلاغة].

لفظ «حائك» في غاية الركاقة إذا أخرج على ما أخرجه أبو تمام في قوله:  
 إِذَا الْغَيْثُ غَادَى نَسَجَهُ خَلَّتْ أَنَّهُ خَلَّتْ حِقْبٌ حَرَسٌ لَهُ وَهُوَ حَائِكٌ<sup>(١)</sup>  
 قال: وهذا قبيح جدًا.

والذي قال البحري: «فحاك ما حاك» حسن مستعمل، والسبب في هذا الذي قاله<sup>(٢)</sup>:  
 أنه ذهب إلى أن غرض أبي تمام أن يقصد بخلت إلى الحوك، وأنه أراد أن يقول: «خلت الغيث  
 حائكًا»، وذلك سهو منه؛ لأنه لم يقصد بخلت إلى ذلك، وإنما قصد أن يقول: إنه يظهر في  
 غداة يوم من حوك الغيث ونسجه بالذي ترى العيون من بدائع الأنوار وغرائب الأزهار ما  
 يتوهم معه أن الغيث كان في فعل ذلك وفي نسجه وحوكه حقبًا من الدهر، فالخيلولة واقعة  
 على كون زمان الحوك حقبًا، لا على كون ما فعله الغيث حوكًا<sup>(٣)</sup>، فاعرفه.

#### [ من اعتقاد الخطأ فيما هو صواب ]

ومما يدخل في ذلك ما حكى عن صاحب من أنه قال: «كان الأستاذ أبو الفضل يختار  
 من شعر ابن الرومي وينقط عليه<sup>(٤)</sup>»، قال: فدفع إلي القصيدة التي أولها:  
 «أتحت ضلوعي جمرًا تتوقد»

وقال: تأملها فتأملتها، فكان قد ترك خير بيت فيها وهو:

بِجَهْلٍ كَجَهْلِ السِّيفِ وَالسِّيفُ مُنْتَضِي وَحِلْمٌ كَحِلْمِ السِّيفِ وَالسِّيفُ مُغْمَدٌ<sup>(٥)</sup>

(١) حِقْبٌ: جمع حقبية وهي المدة، وحرس: بمعنى دهر، أي أنه قال: خلعت أزمنة، ثم استأنف بالمبالغة في  
 المعنى نفسه، فقال: دهر مضى له وهو حائك، ومعنى البيت آت.

(٢) أي: قاله الأمدي في نقد بيت أبي تمام.

(٣) حاصل معنى البيت أن الغيث أول ما ينزل يتغير وجه الأرض ببداية الأزهار والأنوار حتى يفعل في  
 غداة ما يظن أنه استغرق في حوكه دهرًا طويلًا، فالبيت كناية عن سرعة ما يفعله الغيث، وقد ظن  
 الأمدي أن أبا تمام قصد: خلعت الغيث حائكًا فحكم بالقبح عليه لما يتضمنه من تشبيه الغيث بالقادر  
 سبحانه الذي ينبت النبات والأزهار، ولكن المعنى الذي قصده أبو تمام وغاب عن الأمدي: خلعت زمان  
 الحوك دهرًا.

(٤) صاحب هو ابن عباد، وأبو الفضل هو ابن العميد، وينقط عليه: يضع نقطًا لتكون علامات على  
 اختياره.

(٥) شبه اندفاع المدوح في الحق بجهل السيف في حال سله وانتضائه، ثم شبه حلمه بحلم السيف في حال  
 إغماذه، أي أنه حلم القوي لا حلم الضعيف، ويعني هذا تشبيهه في كل أحواله بالسيف سوى أنه في  
 حال اندفاعه يكون كالسيف المسلول، وفي حال حلمه يكون كالسيف المغمد، وقد جعل للسيف جهلاً

فقلت<sup>(١)</sup>: لِمَ ترك الأستاذ هذا البيت؟ فقال: لعل القلم تجاوزه، قال<sup>(٢)</sup>: ثم رأني من بعد فاعتذر بعذر كان شرًّا من تركه، قال: إنما تركته لأنه أعاد السيف أربع مرات. قال الصاحب: لو لم يعده أربع مرات، فقال: بجهل كجهل السيف وهو منتضى، وحلم كحلم السيف وهو مغمد؛ لفسد البيت.

والأمر كما قال الصاحب، والسبب في ذلك أنك إذا حدثت عن اسم مضاف، ثم أردت أن تذكر المضاف إليه، فإن البلاغة تقتضي أن تذكره باسمه الظاهر ولا تضمّره.

تفسير هذا أن الذي هو الحسن الجميل أن تقول: جاءني غلام زيد وزيد<sup>(٣)</sup>، ويقبح أن تقول: «جاءني غلام زيد وهو»، ومن الشاهد في ذلك قول دعبل:

أضيافُ عمرانَ في خُصْبٍ وفي سَعَةٍ      وفي جِباءٍ وخَيْرٍ غيرِ ممنوعٍ<sup>(٤)</sup>  
وضيفُ عمروٍ وعمروُ يسهرانَ معًا      عمروٌ ليطبّته والضيفُ للجوع

وقول الآخر:

وإن طُرّةً راقتك فانظر فربما      أمرٌ مذاقُ العودِ والعودُ أخضرٌ<sup>(٥)</sup>

وقول المتنبي:

جهلاً وحلمًا ليتحد الطرفان في كلّ تشبيه، وأن الممدوح والسيف سواء، ومن أجل هذا أعاد ذكر السيف في كلّ تشبيه.

(١) هذا من حكاية الصاحب بن عباد يخاطب ابن العميد.

(٢) القائل هو ابن عباد يتحدث عن ابن العميد بضمير الغيبة.

(٣) لا أدري أي حسن وأي جمال في: «جاءني غلامٌ زيدٌ وزيدٌ»، وإنما يقال: «جاءني زيدٌ وغلّامه»، ولو جعل لـ«زيد» إسنادًا مستقلًا لكان للكلام مساغ كأن يقول: «جاءني غلامٌ زيدٌ وزيدٌ مسافرٌ» مثلاً.

(٤) هذه رواية الديوان، وفي الكامل للمبرد:

أضيافُ سالمٍ في حَفْضٍ وفي دَعَاةٍ      وفي شرابٍ ولحمٍ غيرِ ممنوعٍ

[راجع: دلائل الإعجاز، تعليق: محمود شاكر]، والشاهد في البيت الثاني؛ حيث أعاد المضاف إليه باسمه

لا بضميره، فهذا مقتضى البلاغة كما يذكر عبد القاهر.

(٥) الطُّرّة في الأصل حاشية الثوب التي تصقله وتجمّله، ثم أطلق على ما يجمل ناصية الجارية وهو هنا مستعار لكل صورة تجذب النظر، ومعنى البيت: عدم التعجل في الحكم على الظاهر، فربما كان ذلك الظاهر حسنًا والجوهر قبيحًا، وقد مثل لذلك بصورة العود الذي يروك اخضراره، لكن مذاقه مُر. والشاهد أنه لما أعاد المضاف إليه «العود» أعاده باسمه لا بضميره، وهذا مقتضى البلاغة.

بمن نَضْرِبُ الأمثال أم مَنْ نَقَيْسُهُ إليك وأهل الدهر دُونك والدَّهْرُ<sup>(١)</sup>

ليس يخفى على من له ذوق أنه لو أتى موضع الظاهر في ذلك كله بالضمير فقيل: «وضيف عمرو وهو يسهران معاً»، و«ربما أمر مذاق العود وهو أخضر»، و«أهل الدهر دونك وهو»؛ لَعُدِمَ حسنٌ ومزيةٌ لا خفاء بأمرهما، ليس لأن الشعر ينكسر، ولكن تنكره النفس<sup>(٢)</sup>.

### [ القياس على الأصل الذي ذكره الجاحظ ]

والذي يوجه التأمل أن يرد إلى الأصل الذي ذكره الجاحظ، من أن سائلاً سأل عن قول قيس بن خارجة: «عندي قري كل نازل، ورضا كل ساخط، وخطبة من لَدُنْ تطلع الشمس إلى أن تغرب، أمر فيها بالتواصل، وأُنْهِى فيها عن التقاطع»، فقال<sup>(٣)</sup>: أليس الأمر بالصلة هو النهي عن التقاطع؟ قال: فقال أبو يعقوب: أما علمت أن الكناية والتعريض لا يعملان في العقول عمل الإفصاح والتكشيف<sup>(٤)</sup>، وذكرت هناك أن هذا الذي ذكر<sup>(٥)</sup> من أن للتصريح عملاً لا يكون مثل ذلك العمل للكناية، كان لإعادة اللفظ في قوله تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلْ﴾ [الإسراء: ١٠٥]، وقوله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾ [الإخلاص: ١-٢]، عمل<sup>(٦)</sup> لولاها لم يكن، وإذا كان هذا ثابتاً معلوماً؛ فهو حكم مسألتنا. ومن البيّن الجلي في هذا

(١) ينكر الشاعر وجود نظير للممدوح، وعملٌ لذلك بأن الدهر وأهل الدهر دون الممدوح، وهذه من المبالغات الفجة، وإنما استشهد الشيخ بـ«أهل الدهر دونك والدهر» لإعادة المضاف إليه باسمه لا بضميره.  
(٢) الحقيقة أن ذكر الضمير بدل الاسم الظاهر يؤدي إلى انكسار الوزن، ويؤثر على إيقاع الشعر، ولكن إحساس النفس وإنكار الطبع يكون أقوى من جهة تغيير النظم، وما يترتب عليه من مجافاة الذوق وإنكار النفس والطبع، وإذا كانت البلاغة تقتضي إعادة المضاف إليه باسمه كما ذكر من قبل، فذلك لأن النفس تقبله والطبع يأنس إليه، وعلى ذلك فإن الارتباط بين البلاغة وبين قبول الطبع وارتياح النفس وثيق في مذهب عبد القاهر، ونحن لا ننسى قوله بعد أن شَرَّقَ وغَرَّبَ في التفريق بين التشبيه والاستعارة، قال: «وهذا أمر لطيف لا نتصِفُ منه إلا باستعانة الطبع عليه».

(٣) «فقال» أي: ذلك السائل.

(٤) ذلك لأن قوله: «أمر فيها بالتواصل» يتضمن بالكناية والتعريض: النهي عن التقاطع، لكنه لا يعمل عمل الإفصاح عن هذا المعنى بعده في «وأُنْهِى فيها عن التقاطع».

(٥) هذا كلام عبد القاهر، ويقصد ما ذكره أبو يعقوب من أن للتصريح عملاً لا يكون مثله في الكناية.

(٦) «عمل» اسم «كان»، أي: إذا كان للتصريح عمل وغرض لا يكون مثله في الكناية في قول ابن خارجة، فإن إعادة اللفظ في الآيتين عملاً وأثراً لا يكون من غير الإعادة.

وإذا تأملنا قوله تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ﴾ وجدنا معناه: أنزلناه من اللوح المحفوظ إلى جبريل ﷺ

في هذا المعنى - وهو كبيت ابن الرومي سواءً؛ لأنه تشبيهه مثله - بيت الحماسة:

شَدَدْنَا شَدَّةَ اللَّيْثِ      غَدَا وَاللَّيْثُ غَضْبَانٌ<sup>(١)</sup>

ومن الباب قول النابغة:

نَفْسٌ عِصَامٍ سَوَّدَتْ عِصَامًا      وَعَلَّمَتْهُ الْكَرَّ وَالْإِقْدَامَا<sup>(٢)</sup>

لا يخفى على من له ذوق حسن هذا الإظهار، وأن له موقعاً في النفس وباعثاً للأريحية لا يكون إذا قيل: «نفس عصام سودته»، شيء منه البتة.

\*\*\*

تمَّ الكتاب في أواسط شهر ربيع الأول سنة ثمان وستين وخمسائة. غفر الله  
لكاتبه ولوالديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات برحمته، إنه أرحم الراحمين وخير  
الغافرين.

\*\*\*

دفعة واحدة «في ليلة القدر» متلبساً بالحق، وهذا كناية عن كونه كلام الله القديم لكونه بالحق الذي هو اسم الله تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ أي: نزل بواسطة جبريل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم متلبساً بالحق، وهذا كناية عن كونه محفوظاً لكونه بالحق الخالص الذي ليس فيه شائبة من الباطل، فالنزول غير التنزيل، والحق الثاني غير الأول، وعلى ذلك فليس ثمة إعادة. أما الإعادة في سورة «الإخلاص»، فإنها تُشعر باستقلال كل معنى بذاته، فالله سبحانه هو الواحد والله سبحانه هو الصمد المقصود في كل الحوائج، = فالواحد الخالق مستغن عن المخلوق، والمخلوق محتاج إلى الخالق، ثم إن كل صفة من هاتين الصفتين لا تكون إلا لله سبحانه.

(١) البيت للفند الزماني: شاعر جاهلي [شرح حماسة التبريزي (١/١٣)] راجع تعليق شاكر، وفيه إعادة المضاف إليه «الليث» باسمه لا بضميره، وهي طريقة عربية لها ما يقتضيهها بلاغياً؛ لأن إعادته باسمه يزيد من الإحساس بالقوة والهيبة.

(٢) يلتقي هذا البيت مع ما سبقه في إعادة المضاف إليه باسمه لا بضميره، لكنه يختلف في وقوع الاسم المعاد في جملة فعلية متممة لمعنى المبتدأ قبلها «نفس عصام سَوَّدَتْ عِصَامًا» بخلاف ما سبق؛ إذ كانت الإعادة في جملة اسمية مستقلة كما في «والليث غضبان»، ولا يخفى الفرق على لبيب.

## خاتمة الشرح

بتوفيق من الله تعالى وعونه تمَّ شرح «دلائل الإعجاز» في منتصف شهر رجب سنة تسع وعشرين وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية الشريفة (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م)، وكنت قد بدأتها في مدينة المنصورة إحدى محافظات مصر المحروسة، وانتهيت من كتابة مقدمته بعد الفراغ من الشرح في مكة المكرمة على مقربة من المسجد الحرام، وكنت أستلهم التوفيق من الله تعالى متفائلاً بهذا المقام الذي أنعم الله به عليّ للمرة الثانية، ويكون ذلك الشرح لمصنف قصد به مؤلفه الشيخ عبد القاهر خدمة كتاب الله تعالى بوضع الأسس التي يتوسل بها لمعرفة خصائص النظم المعجز، وقصدت من شرحه تيسير فهمه وتقريب مراده لطلاب العلم، راجياً منهم الدعاء بأن يرحمي ربي يوم أقف بين يديه يحاسبني على تفريطي وتقصيري في شكر نعمه التي لا تعد ولا تحصى، ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١]، ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥].

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلِّم.

تم مراجعته

محمد علي

غفر الله له

وللشارح محمد شادي



# فهارس الكتاب

فهرس آيات القرآن العظيم

فهرس الحديث

فهرس الشعر

فهرس محتويات الكتاب



## فهرس آيات القرآن العظيم

رقم الآية	السورة	الصفحة
	<b>سورة الفاتحة</b>	
٧-٢	السورة كلها ﴿الصَّراطِ﴾	٥٢٧، ٥٢٨
	<b>سورة البقرة</b>	
٢-١	﴿الم﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴿	٣١١، ٤٩
٧-٦	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿ حَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿	٣١٢، ٤٩
٩-٨	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ ﴿	٥٠
١٢-١١	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿ أَلَا إِنَّمِمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿	٤٤٦، ٣١٧
١٣	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّمِمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿	٣١٨
١٤	﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿	٣١٣
١٥	﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿	٣٢٠، ٣١٦
١٦	﴿فَمَا رِبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ ﴿	٣٨١، ٣٨٣، ٤٧٨، ٥٠٥، ٥٠٧، ٥٨٢
٧١	﴿فَدَبَّحُوا بِهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿	٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤
٩٣	﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ ﴿	٤٧٩، ٥٠٥
٩٦	﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ ﴿	٣٧٥

رقم الآية	السورة	الصفحة
١٧٣	﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ﴾	٤١٨
١٧٩	﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾	٣٤٨، ٣٧٦ ٥٩٧، ٥٠٦، ٤٧٣
<b>سورة آل عمران</b>		
٣٦	﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾	٤١٧
٥٤	﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ﴾	٣١٦، ٣١٧
٦٢	﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾	٤١٨
٧٨-٧٥	﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾	٢٠٨
<b>سورة النساء</b>		
١٠٠	﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾	٣٣٢
١١٢	﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾	٣٣١
١٤٢	﴿يُحَادِثُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾	٣١٦، ٣١٧
١٧١	﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهَوْا خَيْرًا لَكُمْ﴾	٤٦٣
<b>سورة المائدة</b>		
٦١	﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾	٢٠٥، ٢٠٨
١١٧	﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾	٤٢٧
<b>سورة الأنعام</b>		
٨	﴿قَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾	٣١٨

رقم الآية	السورة	الصفحة
١٤	﴿قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ أَخْخَذُ وَلِيًّا﴾	١٩٥
٣٥	﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدَىٰ﴾	٢٤٤، ٢٤٣
٣٦	﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾	٤٢٠
٣٩	﴿مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يُجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾	٢٤٥
٤٠	﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ آتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَعْبَرِ اللَّهُ تَدْعُونَ﴾	١٩٥
٥٤	﴿أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ﴾	٤٠٦
٥٦	﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾	٤١٣
١٠٠	﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾	٢٨، ٤٤، ٤٨، ٣٧٣
١٤٣	﴿قُلْ أَلَّذِكْرَيْنِ حَرَّمَ أَمْ الْأُنثِيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثِيَيْنِ﴾	١٨٧
<b>سورة الأعراف</b>		
٣٣	﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾	٤١٧
١٠٤	﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾	٤١٣
١٢٣	﴿أَمْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾	٤١٤
١٢٥	﴿قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾	٤١٤
١٨٦	﴿وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾	٢٨٨
١٨٨	﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكُنْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾	٤٢٤

رقم الآية	السورة	الصفحة
١٩٦	﴿إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾	٢١٢
	<b>سورة الأنفال</b>	
٣١	﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾	٢٤٥
٥٥	﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	٢١٤
٥٧	﴿فَشَرَّدَ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾	٥٨٣
٥٨	﴿وَأَمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾	٥٨٣
	<b>سورة النوبة</b>	
٣٠	﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾	٤٦٨
٦٣	﴿أَنَّهُ مَن مَّجَادِدِ اللَّهِ وَرَسُولُهُ فَأَن لَّهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾	٤٠٦
٩٣	﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ﴾	٤٣٤
١٠٣	﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾	٤٠٦
	<b>سورة يونس</b>	
٥٩	﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا﴾ = ﴿قُلْ اللَّهُ أَدِينُ لَكُمْ﴾	١٨٧
٦٧	﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾	٥٣٨
٩٩	﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾	١٩٧
	<b>سورة هود</b>	
٢٨	﴿أَنْزَلْنَا مُكْمُوها وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾	١٩٢، ١٩٠
٣٧	﴿وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرَقُونَ﴾	٤٠٦

رقم الآية	السورة	الصفحة
٤٤	﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَفُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾	١٥٢، ٩٩
	<b>سورة يوسف</b>	
٩	﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾	٤٠٦
٣١	﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾	٥١١، ٣١٤
٥٣	﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنْ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّيَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾	٤٠٦
٨٠	﴿فَلَمَّا اسْتِأْذَنُوا مِنْهُ حَلَصُوا وَحَيْثَ﴾	٥٨٢
٨٢	﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ﴾	٣٩١
	<b>سورة الرعد</b>	
١٩	﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾	٤٤٤، ٤٤٣، ٢١، ٤٤٥
٤٠	﴿فَاتِمَّا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾	٤٣٤
	<b>سورة إبراهيم</b>	
١١-١٠	﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤَنَا﴾ = ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾	٤٢٢
	<b>سورة الحجر</b>	
٥٨-٥٧	﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ﴾	٣٢٧
٨٩	﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾	٤١٣
٩٤	﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾	٥٨٢، ٥٨٠

رقم الآية	السورة	الصفحة
	<b>سورة النحل</b>	
٩	﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾	٢٤٣
٦٩	﴿يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾	٣٧٧
١١٥	﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾	٤١٨
	<b>سورة الإسراء</b>	
٧	﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾	٥٩٠
٤٠	﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾	١٨٦
٨٨	﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾	٤٥٥
١٠٥	﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾	٦٠٧، ٢٥١
١١٠	﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾	٤٦٠
	<b>سورة الكهف</b>	
١٣	﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْنَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾	٤١٣
١٨	﴿وَكَلْبُهُمْ بِأَسْطٍ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ﴾	٢٥٥
٣٠	﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾	٤١٢
٨٤-٨٣	﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿١﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾	٤١٣

رقم الآية	السورة	الصفحة
	<b>سورة مريم</b>	
٤	﴿وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾	١٩٦ ، ٤٧٦ ، ٥٨٢ ، ٥٠٥ ، ٤٨٥
٢٤	﴿جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾	٤٨٠
	<b>سورة الأنبياء</b>	
٦٢-٦٣	﴿أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتَانِيَا إِبْرَاهِيمَ﴾ = ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾	١٨٥
١٠٠- ١٠١	﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾	٤١١
	<b>سورة الحج</b>	
١	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾	٤١٢ ، ٤٠٦ ، ٤٠٥
١٧	﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾	٤١١
٤٦	﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ﴾	٤٠٦ ، ٢٠٧
	<b>سورة المؤمنون</b>	
٢٤	﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾	١٩٦
٢٧	﴿وَلَا تَحَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾	٤٠٦
٥٩	﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾	٢١٣
١١٧	﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾	٤٠٦ ، ٢٠٧
	<b>سورة النور</b>	
٤٠	﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾	٣٦٢

رقم الآية	السورة	الصفحة
	<b>سورة الفرقان</b>	
٢	﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾	٢٠٩، ٢٠٥
٥	﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْتَلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾	٢١٢
	<b>سورة الشعراء</b>	
١٦	﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	٤١٣
٣١-٢٣	﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾	٣٢٧
١١٧	﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾	٤١٧
١٣٠	﴿وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾	٥٩٠
٢١٦	﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾	٤١٣
٢٢٧	﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾	٧٩
	<b>سورة النمل</b>	
١٧	﴿وَحَشِيرٍ لِّسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾	٢١٢
	<b>سورة القصص</b>	
٢٤-٢٣	﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾	٢٤٠
٤٥-٤٤	﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْعَرَبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ ﴿وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًّا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾	٣٣٣، ٣٣٢
٦٦	﴿فَعَمِيَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾	٢١٤

رقم الآية	السورة	الصفحة
	<b>سورة لقمان</b>	
٧	﴿وَإِذَا تُلِيٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَوَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾	٣١٣
١٧	﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾	٤٠٦
	<b>سورة فاطر</b>	
٣	﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرُزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾	٢٥٧
١٤	﴿وَلَا يَنْبِتُكَ مِثْلَ خَبِيرٍ﴾	٥٨٣
١٨	﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾	٤٤٣
٢٣-٢٢	﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ إِن أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾	٤٢٣
٢٨	﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾	٤٢٩، ٤٢٨، ٢٧
	<b>سورة يس</b>	
٧	﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	٢١٣
١١	﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذُّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْعَلِيمَ﴾	٤٢٠
٢١-١٣	﴿وَأَضْرَبَ لَٰهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾	٣٢٨
٣٧	﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾	٥٨٢
٤٠	﴿وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾	٤٦١
٦٩	﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾	٣١٥
	<b>سورة الصافات</b>	
١٥٤-١٥٣	﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴿	١٨٦

رقم الآية	السورة	الصفحة
	<b>سورة ص</b>	
١٦	﴿عَجَلْنَا قَطَنًا﴾	٤٨٠
	<b>سورة الزمر</b>	
٩	﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾	٢٣٣
	<b>سورة غافر</b>	
٦٦	﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾	٤١٣
٦٨	﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾	٢٣٣
	<b>سورة الزخرف</b>	
١٩	﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاءً﴾ ﴿أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾	٥١٦، ٤٥٥، ٤٥٤
٣٢	﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾	١٩٧
٤٠	﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ﴾	١٩٤
	<b>سورة الدخان</b>	
٥٢-٥٠	﴿إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ﴾ ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾	٤١١
	<b>سورة محمد</b>	
٤	﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾	٥٨٢
	<b>سورة ق</b>	
٣٧	﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾	٢٠، ٢١، ٤٤، ٣٩٣
	<b>سورة الذاريات</b>	
٢٨-٢٤	﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ صَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾	٣٢٦

رقم الآية	السورة	الصفحة
	<b>سورة النجم</b>	
٤-٣	﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾	٣١٥
	<b>سورة القمر</b>	
١٢	﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾	١٧٠
١٣	﴿ذَاتِ الْوَلَّاحِ وَدُوسِرٍ﴾	٤٨٠
٢٤	﴿فَقَالُوا أَبَشْرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ﴾	١٩٦
٤٣-٤٤	﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ۗ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾	٢٣٣
	<b>سورة المنافقون</b>	
٤	﴿يَخْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعُدُو فَاخَذَرُهُمْ﴾	٤٨٥، ٢٨
	<b>سورة الحاقة</b>	
١٣	﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْحَةٌ وَاحِدَةٌ﴾	٨٣
	<b>سورة المذثر</b>	
٦	﴿وَلَا تَمَنَّ نَسْتَكْتِرُ﴾	٢٨٨
	<b>سورة النازعات</b>	
٤٥	﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مِّنْ يُحْشَاهَا﴾	٤٤٣
	<b>سورة الغاشية</b>	
٢٢-٢١	﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ ۗ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾	٤٤١
	<b>سورة الليل</b>	
١٨-١٧	﴿وَسَيَجْنِبُهَا الْأَتَقَى ۗ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾	٢٨٨
	<b>سورة الإخلاص</b>	
٢-١	﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۗ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾	٤٦١، ٢٥١

## فهرس الحديث

الصفحة	الشعر
٧٥	«إنما الشعر كلام، فحسنه حسن، وقبيحه قبيح»
٥١٨	«إياكم وخضراء الدمن»
٧١	«لأن يمتلى جوف أحدكم قيحاً، فيريه، خير له من أن يمتلى شعراً»
٧١	«إن من الشعر لحكمة، وإن من البيان لسحراً»
٧١	«قل وروح القدس معك»
٧٢	«ما نسي ربك، وما كان ربك نسياً، شعراً قلته»
٧٢	حديث عبد الله بن مسعود في القتلي يوم بدر
٧٢	حديث محمد بن سلمة الأنصاري، عن استنشاده ﷺ حسناً شعر الأعشى في هجاء علقمة بن علامة
٧٣	حديث عائشة، واستنشاده شعراً لسعية بن غريض اليهودي
٧٣	حديث أم المؤمنين سودة، وإنشادها شعراً، ظنت عائشة وحفصة أنها تعرض بهما، ومعرفته ﷺ أنه ليس عدي ويتم من قريش
٧٤	حديث أبي بكر، وسؤاله ﷺ عن صواب إنشاد شعر سمعه
٧٤	حديث النابغة الجعدي، وإنشاده، وقوله له: «لا يفضض الله فاك»
٧٤	حديث كعب بن زهير، وخبر قصيدته المشهورة
٣٧٠	حديث ذي الديدن حين قال: «أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله؟»

## فهرس الشعر

الصفحة			
١٥٨	(الوافر)	سليمان بن داود القضاعي	ومنحط أتيح له أعتلاء
٥٧٧	»	عبد الله بن مصعب	تخير في الأبوة ما تشاء
٢٢٦	»	أبو البرج قاسم بن حنبل	ومن حسب العشيرة حيث شاءوا
٥٦٥	(كامل)	لبيد	ليصحني فإذا السلامة داء
٤٢٠، ٤٧	(الخفيف)	ابن قيس الرقيات	له تجلت عن وجهه الظلماء
		***	
٥٧٥، ٥٦٢	(طويل)	المتنبي	وكل مكان ينبت العز طيب
٢١١	»	النابغة الجمدي	إذا ما بنو نعش دنوا فتصوبوا
٢٠٤	»	الأخنس بن شهاب	على وجهه من الدماء سبائب
٥٧٨	»	نصيب	ولو سكتوا أثنت عليك الحقائق
٢٨٥	»	وائله بن خليفة السدوسي	تقوم عليها في يديك قضيب
٥٧٧	(المديد)	أبو نواس	تنتقي منه وتنتخب
٢٢٥	(بسيط)	ذو الرمة	ولا ير مثلها عجم ولا عرب
٣٨٩	(الكامل)	البحري	شعل على أيديهم تتلهب
٥٨٤	»	أبو تمام	فيه الظنون أمم مُدْهَبُ أم مُدْهَبُ
٢٩٣	»	خالد بن يزيد بن معاوية	دخلوا السماء دخلتها لا أُحْجَبُ
٥٦٨	»	نافع بن لقيط	أملأ ويأمل ما اشتهى المكذوبُ
٢٤٦	(الطويل)	البحري	عقائل سِرْبٍ أو تَنْقَصَ رَبْرَبًا
٢٧٧	»	بشار	هواي، ولو خَيْرْتُ كُنْتُ المَهْدَبَا
٢٠٣	»		وأجْرَدَ سَبَّاحٍ يُبْدُ المَغَالِيَا
٣٠٣	»	سعد بن ناشب	عليّ قضاء الله ما كان جالبًا
٥٢٦	(المدير)	ابن المعتز	لجنة الحسن عنابا

٥٦٧	(بسيط)	المتنبي	مظلومة الرِّيق في تشبيهه ضرباً
١٥٣	(الوافر)	زياد بن حنظلة التميمي	تحال بياض لأهم السرابا
١٤٦	(المقارب)	البحري	فما إن رأينا لفتح ضربياً
	(		
٥٦١	»	أبو تمام	إلينا ولكن عذره عذر مذنب
٢٦٦	»	حجبة بن المضرب	يجبك وإن تغضب إلى السيف يغضب
٣٨٨	»	البحري	على أروس الأقران خمس سحائب
٥٧٩		أبو تمام	تمهل في روض المعاني العجائب
٣٥٥	»	النابعة	تضاعف فيه الحزن من كل جانب
٥٦٩	»	»	عصائب طير تهدي بعصائب
١٣٨	(البسيط)	أبو تمام	تنال إلا على جسر من التعب
٢٧٢	»	المتنبي	من أن أكون مجباً غير محبوب
٥٧١	(وافر)	البحري	ومن لي أن أمتع بالمعيب
٥٧٥، ٥٦٢	(الكامل)	»	أرض ينال بها كريم المطلب
٥٦٥	»	أبو تمام	من خدرها فكانها لم تحجب
٤٤٤	»	(الباخزي)	نُججُ الأمور بقوة الأسباب
١٧٥	»	أبو تمام	الليل أسود رقعة الجلباب
٤٨٧	»	»	قرأت به الورهاء شطر كتاب
٣٤٠	»	أبو ذؤاب ربيعة الأسدي	بعتيبة بن الحارث بن شهاب
٧٢	»	كعب بن مالك	وليغلبن مغالب الغلاب
٥٥٧	»	أحمد بن أبي فنن	فاقتص ناظره من القلب
٥٧٧	(السريع)	إبراهيم بن المهدي	في جسد من لؤلؤ رطب
٣٩٧	(المنسرح)	يزيد بن الحكم	مجد، وفضل الصلاح والحسب
٣٢٣	(السريع)	اليزيدي (يحيى بن المبارك)	ألقاه من زهد على غاربي
٥٢٥	»	أبو نواس	وتلطم الورد بعناب

٣٩١	(مقارب)	النابعة الجمدي	خلالته كابي مرحب
٤٩١، ١٦٢	(الطويل)	بشار	وأسيافنا ليل تهاوي كواكبه
٢٦٦	»	»	أربت، وإن عاتبته لأن جانبه
٣٥٩، ١٤٣	»	الفرزدق	أبو أمّه حيّ أبوه يقاربه
٥٠٣	»	»	يداك يدى ليث فإنك غاليه
٥٧٩	(المنسرح)	بشار	يغرف من شعره ومن خطبه
٥٧٣، ٤٠	(مقارب)	ابن المعتز	يزد في نهاها وألبهاها
٤٠٠	(الطويل)	الشنفري	إذا ما بيوت بالملامة حلت
٢٣٧	»	طفيل الغنوي	بنا نعلنا في الواطئين فزلت
٢٣٦	»	عمرو بن معد يكرب	نظقت ولكن الرماح أجرت
١٥٩	»	كثير	تخلت مما بيننا وتخلت
٢٢٨	»	محمد بن سعد الكاتب	أيادي لم تمنن وإن هي جلت
٣٢١	(الكامل)	جندب	بجنوب خبت عريت وأجمت
٥٦٨	(الكامل)	عامر بن حطان الخارجي	ببد تقر بأنها مولاته
٦٠٢	»	المتنبي	ما حفظها الأشياء من عاداتها
١٥٥	(الخفيف)	أبو دؤاد الإباضي	أحودي ذو مبيعة إضريح
٦٠٤	(بسيط)	البحري	وحاك ما حاك من وشيء وديباج
١٣٦	(الوافر)	ابن المعتز	يكذ الوعد بالحجج
٣٩٦	(الكامل)	زياد الأعجمي	في قبة ضربت على ابن الحشرج
٣٦٢	(طويل)	ذو الزمة	وموت الهوى في القلب مني المبرح
١٣١	»	»	وسالت بأعناق المطي الأباطح
١٣٣	»	»	»
٣٨٤، ٣٨٢	»	»	»
١٣٧	»	الأغر الشاعر	بنفسك إلا أن ما طاح طائح
٥٦٥	»	كثير	طواهر جلدي وهو في القلب جارح